
وايات مصرية للجيب
6
فانتازيا
خيول ورماح

فانتازيا
مغامرات ممتعة
من أرض الخيال
روايات
مصرية للجيب

خيول ورماح


د. أحمد خالد توفيق

هناك طرق عديدة للموت فى الحروب القديمة .. أن تموت بطعنة رمح ، أو تموت تحت سنابك الخيل ، أو غرقا فى النهر .. العامل الوحيد الذى يحدد مصيرك هو موقعك من (رمسيس) العظيم .. هل أنت واقف وراءه ؟.. أم أنك - لسوء حظك - فى مواجهته ؟

الثمن فى مصر
وما يعادله بال
فى سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس : ٢٨٣٦٠٠٤

مقدمة

اسمها (عبير) ...

لم يكن لها نصيب من اسمها ... فهى تفتقر إلى الجمال الذى يوحى به الاسم .. إنها سمراء نحيلة بارزة عظام الوجنتين ، باردة الأطراف .. ترتجف رعبًا من أى شىء وكل شىء ...

إنها حتى غير متفقة .. وبكل المقاييس المعروفة لا تصلح كى تكون بطلتنا .. أو بطلة أى شخص سوانا ..

هى لا تلعب التنس ، ولا تعرف السباحة ، ولا تقود سيارات (الرالى) ، وليست عضوًا فى فريق لمكافحة الجاسوسية ، أو مقاومة التهريب ..

لكن (عبير) ـ برغم ذلك ـ تملك أرق روح عرفتها فى حياتى .. تملك إحساسًا بالجمال ورفقًا بالكائنات .. وتملك مع كل هذا خيالاً يسع المحيط بكل ما فيه ...

لهذا أرى أن (عبير) هى ملكة جمال الأرواح ، إذا وجد لقب كهذا يومًا ما ..

ولهذا أرى أن (عبير) تستحق مكافأة صغيرة ...

ستكون بطلتنا الدائمة .. ولسوف نتعلم معًا كيف نحبها ونخاف عليها ونرتجف فرقًا إذا ما حاق بها مكروه ....

ولأن (عبير) تملك القدرة على الحلم .. ولأنها تختزن فى مقدمة مخها مئات الحكايات المسلية ، وآلاف الأحداث التى خلقها إبداع الأدباء عبر العصور ..

لذلك وقع عليها الاختيار كى ترحل إلى (فانتازيا) ..

(فانتازيا) أرض الأحلام التى لا تنتهى ..

(فانتازيا) حيث كل شىء ممكن .. وكل حلم متاح ..

(فانتازيا) جنة عاشقى الخيال ....

ولسوف نرحل جميعًا مع (عبير) .. سنضع حاجياتنا وهمومنا فى القطار الذاهب إلى (فانتازيا) ..

وهناك سنتعلم كيف نحلم ...

إن صفير القطار يدوى ، والبخار يتصاعد حول قاطرته .. هو ذا جرس المحطة يدق .. إذن فلنسرع ..!..

لقد حان موعدنا مع الأحلام فى (فانتازيا) ..

★ ★ ★

١ - قراءات جديدة ..

لقد مرّ شهران على عودة (عبير) إلى أرض الواقع .. وطيلة هذين الشهرين لم تشعر بحاجة ماسة إلى الفرار من جديد .. لقد منحها (شريف) كثيرًا من وقته ، واستطاع — بمعجزة ما — أن يصبح مسليًا ..

صحيح أنه لم يتعلم المبارزة بسيوف الليزر ، ولم يتعلم الرماية بمسدسين مقلوبين فى جرابيهما ، ولم يملك قط سيارة برمائية .. بمعنى أدق : لم يصر واحدًا من (الآخرين) .. الآخرين الذين تلقاهم فى (فانتازيا) ولا يكفون عن إثارة شغفها فى كل ثانية ..

لكنه بدأ يهدأ فيما يتعلق بعالم الكمبيوتر ..

لم يعد ذلك العاشق المجنون ، ولم يعد يفاجئ نفسه كل ثانية بفكرة جديدة ومفهوم جديد ..

أخذها فى رحلة إلى (الأقصر) و (أسوان) .. واصطحبها إلى (الإسكندرية) .. وثرثرَ معها حول كل شىء (عدا الكمبيوتر بالطبع) .. بل إنه ـ صدق أو لا تصدق ـ زار أسرته مرتين بصحبتها .. ويبدو

أن أسرته بدأت تقبل وجودها تدريجيًا وترى أنها ليست بهذا السوء ..

الأرستقراطية المصرية العتيدة تتمثل فى هذه الأسرة .. الأرستقراطية التى لا تتحذلق ولا تدعى ولا تتظاهر ..

لهذا يتمتع أصحابها بتحفظ ممزوج بالكبرياء يفصلهم عن الآخرين ، وفى طباعهم بساطة لا ترى غضاضة فى الجلوسُ على الأرض أو التهام شطيرة (طعمية) فى تلذذ لو دعوتهم إليها .. صحيح أنهم سيمرضون أسبوعًا بعد هذه الشطيرة ، لكنهم لن يذكروا لك هذا ..

ولهذا ـ أيضًا ـ يمكن أن تجد ثيابهم بسيطة غير مبهرجة .. ربما تحتاج للكواء .. لكنها تناسبهم تمامًا .

إن (شريف) واحد من هذه الطبقة ..

وفى تعاملاته مع العالم الخارجى يتمتع بسذاجة وبساطة (لورد) إنجليزى وجد نفسه فى الأدغال فجأة ..

لهذا أحبت (عبير) أسرته .. لكنها لم تجد نفسها بينهم ، ولم تنس أن أمثال هؤلاء حين كانوا يتنزهون فى أوروبا لتزجية وقتهم ؛ كان جدها (يتنزه) هو الآخر فى حارة (الجعايدة) حاملًا قربة السقاء على ظهره ..

لم تكن تريد منهم سوى (شريف) .. وقد حصلت عليه ، ولم ترد أن تضايقه بمضايقة أسرته .. لهذا كانت معهم ألطف من عصفور صغير وأرق من نسمة مساء ..

* * *

لكن (عبير) لم تكن تنتمى لأسرتها هى ولا جارتها .

إن (عبير) مواطنة من مواطنى (فانتازيا) .. أو هى تعتبر نفسها كذلك ..

إنها تشاهد الحياة بنصف عين وربع انتباه ، كأنما تقرأ كتابا تدور فيه هذه الأحداث ..

وخيالها كله هناك .. مع (المرشد) و (فان هلسنج) وإخوان الدم و (زولتار) وثوار (جالاكتيكا) ..

* * *

فى الآونة الأخيرة ابتاعت عددًا لا بأس به من الروايات والكتب .. وقرأت كثيرًا جدًا فى الفترات التى يكون (شريف) فيها فى عمله ..

إن خيال الإنسان لن يتوقف أبدًا .. كل هؤلاء يجاهدون من أجل توسيع رقعة (فانتازيا) كما يجاهد الهولنديون ضد البحر لتوسيع رقعة بلادهم ..

واحد يدعى (وليم بيتربلاتى) أضاف إلى (فانتازيا) أرضًا جديدة ، هى أرض الأرواح الشريرة .. وطقوس طردها .. ذلك العلم الذى يسمونه (إكسورسيزم) ..

واحد يدعى (مايك كرشتون) أضاف أرضا تحوى قصص الديناصورات والفيروسات الفضائية الغامضة .

مجاهد عجوز يدعى (بوريس باسترناك) حرك مشاعرها بقصة طويلة مرهقة عن (روسيا) بعد ثورة (أكتوبر) ، حيث يواجه الدكتور (جيفاجو) تحولات المجتمع ..

دعك من المجاهدين (جمال الغيطانى) و (القعيد) و (صنع الله إبراهيم) بإبداعاتهم التى لا تنسى ..

على أن أكثر ما أحدث تأثيرًا فى نفسها هو قراءاتها النهمة للتاريخ الفرعونى ، فى كتب (قصة الحضارة) وفى قصص (نجيب محفوظ) وحتى فى قصص (أجاثا كرستى) البوليسية الفرعونية !..

لم تكن قد رأت (الأقصر) ولا (أسوان) إلا مع (شريف) .. وقد احتبست أنفاسها إذ عرفت أن هذه الأشياء المذهلة موجودة على أرض (مصر) .. وأنها كان من الممكن أن تموت دون أن تراها ..

هى لم تكن ـ على أقل الاحتمالات ـ قد رأت المتحف المصرى .. وإن كانت على الأقل تعرف أنه هناك فى ميدان (التحرير) ..

ولكن لم يخطر ببالها قط أن هناك من يدخلونه ليشاهدوا ما به .. وكأنه محظور على غير السياح .. وكأنهم سيطردونها أو يطلقون عليها الرصاص لو حاولت الدخول ببشرتها السمراء ..

وحين رأته ـ مع (شريف) طبعًا ـ أدركت أن هناك عالمًا كاملاً لم تتصور وجوده .. وأدركت أن هناك أشياء لا حصر لها لم ترها بعد .. وستموت دون أن تراها ..

هذا عن (مصر) فقط .. فماذا عن ثلوج (ألاسكا) .. وشلالات (نياجرا) .. ومُتحف مدام (توسو) .. وحدائق (أوغندا) المفتوحة .. وشمس منتصف الليل ؟!

إنها لن ترى هذه الأماكن أبدًا فى الواقع ..

لكنها ستراها وترى ما هو أروع منها فى (فانتازيا) .

★ ★ ★

وجالسة على المقعد ، والأقطاب مثبتة على جمجمتها ؛ نظرت إلى (شريف) فوجدته يعدّ البرنامج على الشاشة ساهمًا كاسف البال ..

أدارت رأسها نحوه .. وتساءلت :

ـ « (شريف) ؟.. هل ثمة خطأ ما ؟ »

قال وهو يداعب المفاتيح دون حماس :

ـ « لا يوجد شىء صحيح من البداية .. »

ـ « لماذا ؟ »

قال بابتسامة باهتة :

ـ « أنت تحاولين الفرار منى .. دائمًا تقف (فانتازيا) اللعينة هذه بيننا .. »

ـ « ولكن ... »

ـ « فى كل مرة تطلبين فيها الرحيل ؛ أشعر أننى جزء من واقعك الكئيب الذى تشتهين الفرار منه .. وأنا لم أقارف ذنبًا ما »

ـ « أعلم .. لكنى أعرف كذلك أنك عاكف على تطوير الجهاز .. وأن كلينا مستفيد من هذه الجلسات .. »

نظر لها .. وتنهد .. ودسّ قرص نعناع فى فمه :

ـ « أنت تعرفين أننى كففت عن العبث بهذا الجهاز

منذ زمن .. إن (دى ــ جى ــ ٢) ليست لــه فــائدة اقتصادية مرتقبة .. إنه جهاز لا يصلح إلا لفرد واحد هو أنت ! »

ـ « (شريف) .. كفاك سخفا ! »

ـ « نعم .. لن أفسد عليك متعة رحلتك .. »

وعاد يضغط الأزرار دون حماس ..

إنه يجد فى كل هذا إهانة من نوع ما .. لكنه لا يريد أن يبدو قاسيا .. بل هو لا يستطيع أن يبدو قاسيا ..

وحين ضغط زرّ الإدخال ..

بدأ الحلم دون مقدمات فى ذهن (عبير) ..

★ ★ ★

٢ ـ فى مصر القديمة ..

من جديد فى قطار (فانتازيا) ..

قال (المرشد) لـ (عبير) وهو يداعب سلسلة مفاتيح :

ـ « هل لديك برنامج معين يا (أليس) ؟ »

نظرت إلى السلسلة وغمغمت :

ـ « أين القلم إياه ؟ »

ـ « لقد ضاع .. إن عادة اقتراض الأقلام وعدم إرجاعها موجودة حتى فى (فانتازيا) .. لم تجيبى عن سؤالى بعد »

راحت تتأمل المشاهد التى تمرّ بنافذة القطار .. بعضها غدا مألوفًا وبعضها لم تره من قبل ..

كانت هناك أصنام هندية ذات ستة أذرع .. وكان (جلجاميش) يبدأ ملحمته الرهيبة من أجل صديقه (أنجيدو) .. ورأت (سيف بن ذى يزن) يبارز أعداءه .

لكن أشدّ ما أثار فضولها هو أنها رأت ثلوجًا .. وعمالاً سوفييت يلوحون بالمشاعل فى غضب .. وأمّا

ملهوفة تحمل رضيعها وتحاول اللحاق بقطار يتحرك .

بانبهار هتفت :

ـ « أيها (المرشد) .. أهذه مشاهد من د. (جيفاجو) رواية (باسترناك) ؟ »

أخرج رأسه من النافذة يتأمل المشهد دون اكتراث .. ثم قال وهو يعود للاسترخاء :

ـ « لا بد أنها كذلك .. »

ـ « لقد قرأت الرواية منذ أسبوعين .. أبهذه السرعة صارت من معالم (فانتازيا) ؟ »

ـ « لم لا ؟.. في الخيال لا تحتاجين نقودًا لإنشاء ديكور أو شراء ثياب للممثلين .. ولا تبحثين عن (كومبارس) .. لقد أنشأ خيالك عالمًا متكاملا بمجرد فراغك من قراءة القصة .. »

ورأت (عبير) من النافذة معابد فرعونية .. وتماثيل هائلة الحجم .. وجنودًا يلوحون برماحهم ، لم تحتج للسؤال هذه المرة .. هذا هو عالم الفراعنة هنا .. حصيلة أسبوع من القراءات الجائعة لكل ما كتب عنهم .

ـ « هنا يا (مرشد) »

ـ « ليكن يا فتاة .. »

وجذب حبل القطار فتوقف ..

* * *

كان النيل يمتد أمام عينيها .. مياهه حمراء اللون .. نيل يختلف كثيرًا عن الذي كانت تراه حين تمشي على (الكورنيش) مع (غادة) تلتهمان حبات الترمس وتحلمان ، وتتظاهران بأنهما لا تسمعان تعليقات الشباب العابرة .. وهي تعليقات تعرف (عبير) يقينًا أنها غير موجهة لها .. بل لصديقتها ..

هذا النيل الذي تراه الآن هو نيل بكر .. نيل لم يروض بعد ولم يضع أحدهم اللجام فوق ظهره .. حصان هائج ثائر تتطاير خصلات معرفته في الهواء .. وتبعثر حوافره الغبار ..

وبسهولة تبينت أن هناك ظهورًا لعدد لا بأس به من التماسيح ، ترقد في كسل على الضفتين بانتظار الحمقى من البشر أو أفراس النهر ..

سألت (المرشد) وهي تجفف العرق عن وجهها :

ـ « من أنا في هذه المرة ؟ »

تأملها في شرود .. وغمغم :

ـ « لن تكوني فتاة عادية طبعًا .. إن هذا يعني حياة مملة بلا جديد.. الزواج .. الإنجاب .. العجين .. الخبز ..

عصر النبيذ .. ثم تموتين وتدفنين فى تابوت من طين .. ، كلا .. لن يكون هذا .. سأجعلك واحدة من بنات الفرعون .. الأميرة (إرمنحات) .. »

– « إر ...... ما معناها ؟ »

– « كيف لى أن أعرف ؟ فيما بعد سيقول علماء المصريات .. إن معناها : (الجميلة تتأوّد) .. أو : (سيدة دارها) .. أو : (سعيدة هى حياة (رع)) .. أى شىء من هذا .. والآن .. »

وفى اللحظة التالية اختفى من أمامها ..

★ ★ ★

مشت (عبير) – أو (إرمنحات) – فوق الأرض الطينية الزلقة .. وقد أدركت أنها ترتدى ثوبًا طويلًا من الكتان .. وفى قدميها صندلان ذهبيان .. كما أدركت أنها صارت رشيقة معتدلة القامة ، وأن الأساور الذهبية تطوق ساعديها حتى المرفقين ..

كان هذا سوقًا ..

ورأت أطفالًا عرايا – كما ولدتهم أمهاتهم – يلعبون ويتصايحون هنا وهناك ، على حين جلس الباعة أمام سلالهم بما فيها من خضر وآنية فخارية وطيور وأرانب ، ومن حين لآخر يتوقف أحد المارة ليقايض البائع على بضاعته ..

رأت فتاة فارعة القامة تحمل بطة فى يد .. وتضع سلة كبيرة على رأسها ؛ تقايض بائعة على دستة من الحمائم ..

أين رأتها من قبل ؟.. آه !.. إن تمثالها موجود فى المتحف المصرى بذات الثوب ..

وفجأة سمعت صوت صراخ وعويل ..

ثمة كارثة ما حدثت أو تحدث ..

فى الثانية التالية تبينت أن المارة يركضون بأقدامهم العارية فارين من وجه شىء ما .. شىء ما يبعثر الغبار فى كل مكان .. شىء ما يصدر خوارًا وله قرنان طويلان ..

قرنان طويلان ؟!.. إنه ثور !..

ثور هائج يشق طريقه بين صفوف القوم .. يدوس هذا حتى تنفجر أحشاؤه وتتهشم عظامه .. ويطعن ذاك حتى يخترق صدره .. وفى كل الأحوال لا أحد يجرؤ على التصدى له ..

قررت أن تفرّ .. لكنها مرّت بتلك اللحظة الكهربية الشهيرة .. لحظة انعدام التوصيل بين المخ والأطراف .

هى تعرف – يقينًا – أن الثور سيهاجمها هى بالذات .. لماذا ؟ لأنها بطلة الأحداث ..

لكن أين وكيف تفرّ ؟ ومتى تطاوعها قدماها ؟

وهنا سمعت من يصرخ فى الجمع :

ــ « افسحوا الدرب ! »

طبعًا قالها بلهجة ولغة غريبة زاخرة بالحاء والعين .. لكنها فهمتها .. أدركت أنه يتكلم (الديموطيقية) لغة عامة الشعب ..

يرفع الرمح فى يده ــ كان يحمل رمحًا ــ ويطوح ذراعًا أسمر مزدانًا بالعضلات تجاه جبل اللحم الذى يركض نحوها ..

رمح ينغرس فى العنق .. لعاب رغوى يتناثر من الفم .. الغبار .. الصراخ .. الثور يغير اتجاهه .. الفتى الأسمر يطير فى الهواء ويداه متشبثتان بالرمح ..

مقاومة .. الرمح ينغرس أكثر .. لعاب أكثر .. غبار أكثر .. صراخ أعلى ..

الجسد العملاق الأسود يكافح .. ترتخى أقدامه .. يهوى على قدميه الخلفيتين .. خوار .. محاولة للنهوض ..

ثم .. الموت النهائى لكتلة العضلات الهائلة التى ملأت الدنيا هلعًا منذ ثوان .. فيما عدا انتفاضات نهائية .

وتهرع (عبير) مع الهارعين نحو الجسد الأسمر الممرغ فى الغبار ..



يرفع الرمح فى يده ــ كان يحمل رمحًا ــ ويطوح ذراعًا أسمر مزدانًا بالعضلات تجاه جبل اللحم الذى يركض نحوها ..

كان راقدا هناك .. شاب أسمر هادئ الملامح ، مريح التقاطيع .. لكن الألم يكسو سحنته .. وخيطا من الدم يتدلى من فتحة منخره إلى الأرض ..

لقد أنقذها ببسالة .. هشم عظامه لينقذها .. فهو شهم .. بل هو كذلك أشجع الشجعان ، لأن من يقف فى طريق جبل لحمىّ مثل هذا لا يمكن أن يكون آدميا يخاف ويجزع ..

كادت تنحنى لتريح رأسه على ركبتيها .. لكنها سمعت همسات تقول لها : إنها ترتكب خطأ ما ..

ومن أذنها دنت امرأة لتهمس :

ـ « التحية أيتها الأميرة يابنة (آمون) .. لقد قام الجندى بواجبه .. فدعيه .. »

أدركت (عبير) أن الناس يخشون لمسها .. واضح أنها ممنوعة من اللمس باعتبارها ابنة الفرعون (آمون) شخصيا ..

رأت رجالا ضخام الجثة يحملون رماحا وكل ما يوحى به منظرهم أنهم رجال شرطة .. كانوا يمسكون بفلاح بائس هزيل أصلع الرأس من قفاه .. ويقتادونه نحوها :

ـ « تحية يابنة (آمون) »

قالها كبيرهم وانحنى حتى لامست جبهته التراب تقريبا .. وأردف :

ـ « هذا هو صاحب الثور .. يزعم أن الثور هاج وفرّ منه بسبب الزحام .. »

هتف الرجل متوسلا ، وهو يحاول التملص من جلاديه :

ـ « تلك هى الحقيقة بحق (بتاح) .. »

صفعة هوت على قفاه .. وسبة من رئيس العسس :

ـ « صه أيها المعتوه ..!.. قل لى من كلفك من (الحيثيين) بقتل الأميرة ؟ إن أركان المؤامرة تتضح لنا الآن .. سنأخذك إلى (إدارة مكافحة الاغتيالات) وهناك سنعرف كل شىء بما فيه اسم زوجة خالك ! »

ـ « اسمها (سح) .. وأنا لا أعرف حتى كيف أنطق اسم هؤلاء الحيث .. الحيثون .. »

ـ « ششش ! »

قالها رئيس العسس .. وأخرج من حزامه جهازا لاسلكيا (ووكى ـ توكى) .. وأطال الإريال الخاص به .. ليتكلم محدثا جهة ما :

ـ « أرسلوا عربة .. لدينا عميل فائق الأهمية هنا » .

أحست (عبير) بأن هناك شيئا ما فى غير موضعه ..

نعم .. جهاز اللاسلكى الفرعونى هذا .. صحيح أن الفراعنة كانوا عباقرة ، لكن ليس إلى هذا الحد .. إنها فى (فانتازيا) حيث كل شىء مسموح به ..

اقتادوا الفلاح إلى العربة ، بينما هو يقاوم .. ويصرخ :

ـ « قلت لكم : إن زوجة خالى اسمها (سح) .. ماذا تريدون بعد هذا ؟ ثم أن الثور فرّ منى .. آى !.. إن ضرباتك قوية حقًا يا سيدى .. آه ..!.. وورائى كوم من الأفواه التى يجب إطعامها .. و .. »

قال رئيس العسس :

ـ « الأفواه الوحيدة التى ستُطعم هى أفواه التماسيح بعد ما ننتهى من استجوابك ..! .. نياهاهاهاهاهاه ! »

كانت ضحكاته مستمرة بينما العربة تتحرك بفريستها إلى (إدارة مكافحة الاغتيالات) ..

فما إن ابتعدت حتى كف عن الضحكات .. ونظر إلى (عبير) باحترام قائلا :

ـ « والآن يا أميرة .. اسمحى لى بإعادتك إلى القصر .. »

هتفت (عبير) فى لهفة وهى تشير إلى الجندى الممرغ فى التراب مهشم الأوصال :

ـ « وهذا ؟ »

مطّ شفتيه فى اشمئزاز :

ـ « هذا لا شىء .. واحد من العامة قام بواجبه نحو أميرته .. »

بغضب هتفت :

ـ « ولماذا لم يقم أحدكم بهذا الواجب ؟ كل هذا الحشد لم يتحرك منه سوى رجل واحد .. »

ـ « قمنا يا أميرة بواجبنا .. والخائن فى قبضتنا .. ولسوف ينال جزاءه حالاً .. »

ـ « كلكم على فلاح بائس عاثر الحظ .. بينما فررتم كالأرانب من وجه الثور .. »

ـ « كنا ننتظر اللحظة المناسبة .. لقد تراجعنا لفحش الوثبة ! »

ثم التفت إلى رجاله صائحًا بلهجة لا تناقش :

ـ « هاتوا الجندى إلى القصر .. لقد عفت عنه الأميرة ! »

صاحت فى حنق :

ـ « عفوت عن ماذا ؟ »

ـ « عن إعاقته لحراسك طبعًا ! إن هؤلاء الهواة ..»

وكتمت (عبير) غيظها ..

وفى صمت ركبت عربة يجرها جوادان .. ووقفت إلى جوار رئيس العسس الذى أمسك باللجام .. وهوى فوق ظهرى الجوادين بسوطه ..

فانطلقت تنهب الأرض قاصدة القصر ..

* * *

٢ - أبى (رمسيس) ..

كان العبيد العمالقة سود البشرة يملئون ردهات القصر .. وكان هناك بعض الجنود شاكى السلاح يرتدون جلود النمور لسبب لا تفهمه ..

كل شىء غاية فى الضخامة والفخامة والإبهار ..

الجدران المنقوشة برسوم أنيقة ..، والأعمدة ذات الطابع الفرعونى المحبب للنفس ..، والأرضية المزخرفة بزهر اللوتس ..

خطر لـ (عبير) وهى تمشى مع حارسها مدى رقى ذوق هؤلاء الفراعنة .. كل شىء متناسق ولا يوجد خطأ واحد فى الألوان ولا فى الطراز .. المبانى تنسجم مع الرسوم ومع التماثيل ومع الثياب ومع أقداح الشراب فى تناغم جميل ..

كان هذا هو البلاط ..

وفى صدر المكان على مقعد مهيب شامخ ، يجلس عملاق لا يقل هيبة ولا شموخا .. على رأسه تلك القبعة أو غطاء الرأس ذو اللونين الذى يرمز لتوحيد القطرين .

إن هذا هو الفرعون .. أبوها ..

كان يحسو الشراب من قدح ذهبى كبير .. على حين يقف وراءه عبد زنجى هائل الحجم ، عارى الجذع ، يلعب دور مروحة السقف ، مستعملا مروحة ريشية هائلة الحجم ..

وأمام الملك كانت هناك مجموعة من الفتيات الرقيقات تؤدين نوعا من (الباليه) الإيقاعى على نغمات تنبعث من (هارب) ضخم تمسك به حسناء رقيقة أخرى ..

هنا رأى الفرعون (عبير) وقائد العسس ..

رفع ذراعه فى صرامة ليوقف الحفل الترفيهى ، ثم أشار إلى الرجل كى يدنو منه ..

واستطاعت (عبير) أن تتبين ملامح الرجل - أبيها - فى جلاء أكثر .. كان وسيما دقيق الملامح ، أسمر اللون طبعًا .. فكل هؤلاء الفراعنة يبدون كأنما شكلوا لتوهم من طمى النيل ..

وكان الفرعون صارما آمرًا يوحى بأنه اعتاد أن يأمر فيطاع دون جدل من أى نوع ..

ركع كبير العسس على ركبتيه .. وهتف فى تبجيل :

- « تحية يا طويل الخطا .. هذا كبير العسس المستحق لعطفك يخبرك أنه قد تم إحباط مؤامرة حيثية لاغتيال ابنتك »

جرع الفرعون جرعة من الشراب .. وقطب .. ونظر باتجاه (عبير) غير فاهم بعد لمعنى ما حدث ..

ثم تساءل بصوت جهورى :

ـ « ابنتى ؟ غريب ! أنا لا أذكر وجه هذه .. من هى ؟ »

ـ « هى الأميرة (إرمنحات) أيها الملك .. رقم ٥٨ .. الأم أسيرة حبشية من بلاد (بونت) »

ـ « آهاه ..! .. »

وهنا تذكرت (عبير) أن (رمسيس الثانى) كان هو الملك الذى أنجب أطفالاً لا يعرف أحد عددهم .. وإن كان أكثر التقديرات تواضعًا يقول : إنهم تسعون ابنًا !.. ظريف أن يكون المرء قبيلة كاملة تحمل صفاته الوراثية .. لكن هذا يعنى أنها غير ذات أهمية كبرى .. مجرد فرد فى جيش تعداده يفوق الحصر .. ومن الواضح أن أباها ذاته لم يرها سوى مرة أو مرتين .. ربما لم يرها قط ..

لم يبد (رمسيس) شديد الاهتمام ـ وهذا طبيعى ـ وهزّ رأسه فى ملل مغمغمًا :

ـ « حسن .. ألق بالمتآمرين إلى التماسيح .. »

ـ « حتمًا يا مولاى .. وهناك جندى ضحى بحياته كى .... »

ـ « ألق به للتماسيح هو الآخر ! »

ـ « لكنه أنقذ حياة الأميرة .. »

ـ « إذن أحسنوا وفادته .. واجلبوا له طبيبى الخاص .. والآن خذها وانصرف .. فأنا ـ كما تريان ـ مشغول .. »

بالطبع لم تجد الوقت ولا شجاعة كافية لتسأله عن سرّ انشغاله ، مادام لم يكن يفعل شيئًا حين دخلا ..

ومشت وراء حارسها .. الذى سلمها لعبد .. سلمها لعبد .. سلمها لـ (قهرمانة) .. أخذتها إلى (الحريم) .

* * *

كان اللقاء الأول مع أبيها محبطًا ..

هى لم تتوقع أن يقف على يديه ويهلل لنجاتها ، لكنها لم تتوقع كذلك كل هذا الجحود والنكران ..

قالت لها أمها الحبشية حيث جلست تضفر خصلات شعرها ، وتغسلها بزيت الزيتون والنبيذ :

ـ « إن أباك رجل عظيم .. أعباء الدولة تحاصره .. والإمبراطورية تتسع .. لهذا ليس لديه الوقت الكافى ليكون حنونًا .. »

سألتها (عبير) وهى تلقى ببعض حبات العنب إلى فمها :

ـ « وماذا عن الجندى الذى أنقذنى ؟ »

- « يمكنك أن تريه .. إن الجوارى يعتنين به الآن »
أتراه بهذه السهولة ؟

واضح أن تعقيدات (الحريم) الشهيرة فى خدرهن لم تصل بعد إلى الفراعنة .. لو كان هذا بلاط (هارون الرشيد) لاحتاجت إلى توصيل رسالة إلى جارية توصلها إلى عبد يوصلها إلى عبد يوصلها إلى خصى يوصلها إلى الجندى ..

وهكذا مشت مع جاريتها إلى إحدى القاعات الصغيرة ، وكان أول ما أثار دهشتها كل هذا الدخان المتصاعد فى الجو .. ثم أدركت أنهم يحرقون أعشابًا ما ..

أثار دهشتها كذلك ذلك الكاهن أصلع الرأس الذى يضع جلد نمر على كتفه ، وقد راح يحرق أشياء صغيرة .. ويدسها فى دم المريض مستعملاً إبرة مدببة .. وفى أركان القاعة تناثرت تماثيل .. (إيزيس) ترضع صغيرها .. أو (إيزيس) دون أن ترضع صغيرها ، أو (إيزيس) دون صغيرها .. أما الكاهن فراح يردد أدعية معينة ذات طابع علاجى وقائى فعال :

- « شوح عشتار آمون .. حشروت نافتيس سخمت »
دنت منه وتأملت المريض ..

كان فى حال سيئة - هذا واضح - يرتجف ويهلوس والعرق البارد يحتشد فى حبيبات على جبينه ..

جلست جوار الكاهن ساعلة من الدخان الكثيف ، وقالت محاولة أن تجارى ثقافته الوثنية الضحلة :

- « هل هى الأرواح ؟.. هل آذته ؟ »

نظر لها فى دهشة كأنما يريد أن يصارحها بجهلها لولا الأدب تجاه منصبها الملكى .. وقال فى كياسة :

- « بل هى الصدمة العصبية يا أميرة .. مع اشتباه وجود كسور فى الحوض وتمزق فى الطحال .. إن نبضه سريع وضغط دمه منخفض .. »

- « ضغط دمه ؟ كـ .. كيف ؟ »

- « آه .. هذه التفاصيل التقنية مشروحة فى بردية (إيبرز) .. وهى لا تعنى غير الأطباء .. »

ورفع رأسه نحو إحدى الجوارى الواقفات قربه :

- « أريد خمسمائة مقدار من (آمون - رع) .. وقربتين من محلول (حورس) .. أخشى أن نفقد هذا المريض الآن »

ناولته الجارية - يبدو أنها جدة ممرضات اليوم - جرة ملأى بسائل .. ومعها أنبوب نحاسى صغير ..

وهنا وجدت (عبير) ألا جدوى هنالك من مشاهدة



راحت (عبير) تعرف أكثر عن (رمسيس الثانى) وعن هذه الفترة التاريخية ..

ما يحدث .. خاصة وهذا الرجل يعرف ما يفعله كما هو واضح .. إن الطب المصرى القديم لم يكن متخلفا كما حسبته .. ولو كانت ذات خبرة طبية لاستنتجت أن (آمون ـ رع) هو جد (الأدرينالين) .. وأن محلول (حورس) هو جد (الدكستروز) .. وأن هذا الكاهن هو أستاذ طب الطوارئ بجامعة (منف) ..

★ ★ ★

جالسة على أريكة فى الحريم ، مستمتعة بالأنسام التى تحركها مروحة من ريش الطاووس تمسك بها فتاة سمراء باسمة .. راحت (عبير) تعرف أكثر عن (رمسيس الثانى) وعن هذه الفترة التاريخية ..

محدثتها هى الحسناء (ميحور) التى هى ـ وهذا متوقع ـ أختها من الأب ..

صحيح أنها فى (فانتازيا) ، وصحيح أن الخيال هو سيد اللعبة ها هنا ؛ إلا أن ما قرأته عن (رمسيس الثانى) كان دقيقًا ووافيًا .. لهذا لا توجد تلفيقات هاهنا .. ويمكن للقارئ أن يطمئن إلى المعلومات التالية :

ـ « (رمسيس الثانى) » ـ تقول (ميحور) وهى تقذف حبات العنب إلى فمها الدقيق ـ « هو ابن الملك

(سيتى الأول) .. وكلاهما ينتميان إلى أسرة (الرعامسة) .. بالمناسبة إن النطق الصحيح هو (رعمسيس) لا (رمسيس) ... وهى أسرة لم يعرف علماء الآثار بعد كيفية نشأتها ! »

هنا أصاب (عبير) الذهول .. كيف تتحدث (ميحور) عن أبيها وجدها قائلة إن أحدًا لم يعرف كيفية ظهورهما ؟

ثم تذكرت أن (ميحور) لا تقول إلا ما تعرفه (عبير) .. أو ما تعرفه وظنت أنها نسيته ..

قالت (ميحور) وهى تتمطى وتريح رأسها على ركبة (عبير) :

ـ « فيما بعد سيسمون هذه الفترة (الدولة الحديثة) .. وسيقولون : إننا من الأسرة التاسعة عشرة .. أنت تعرفين أن الأسر عديدة فى تاريخ الملوك الفراعنة .. »

وهنا توقفت عن الكلام .. ونظرت تجاه الباب ..

كان هناك عملاق زنجى يقف فى أدب منتظرًا السماح له بالكلام ..

هزت (ميحور) رأسها تدعوه للدخول فالكلام ..

قال العملاق وهو يطرق للأرض حياء :

ـ « أبلغنى الكاهن (كاه) أن أبلغ الأميرة أن الجندى الجريح قد » ..

ـ « قد ؟ »

ـ « تعافى واجتاز مرحلة الخطر .. »

ابتسمت (ميحور) بخبث ، ونظرت إلى (عبير) نظرة معناها : أرأيت ألا داعى لكل هذا القلق ؟ ثم عادت إلى جلستها المسترخية ..

شعرت (عبير) بارتباك .. فهى لم تعتد قط أن تمارس حياتها أمام العيون ، فكيف تضطجع هذه وتسترخى أمام هذا الثور الواقف لا يبرح المكان ؟

ثم فطنت إلى أن (ميحور) لا تعتبره بشرًا أساسًا فضلاً عن كونه رجلاً .. كأنه قطعة أثاث موجودة هناك من البداية .. إن المرأة لا تخجل إلا من رجل فى مستواها أو أرفع منه .. أما علاقة الملكة بعبدها فهى علاقة شبيهة بعلاقتها بقطها السيامى المدلل أو كلبها .. وهى ـ والحق يقال ـ ذروة التعالى الطبقى ، والإهانة لآدمية هؤلاء الذين هم بشر مثلنا ..

وفى سرها تساءلت : كيف يفكر هذا العبد ، وما الذى يخطر له ؟ فى الغالب هو لا يفكر فى شىء ، لأن سنى العبودية جعلت خلايا مخه تضمر .. الرأى صار عضوًا أثريًا رمزيًا يذكره أنه كان حرًا يومًا ما فى أحراش إفريقيا ، والفتيات يخجلن منه .. أما الآن فهو

لا شىء .. مجرد (دكتافون) آدمى هائل الحجم ..

فى سأم أزاحت هذه الخواطر جانبًا ونهضت لترى الجندى الجريح ..

★ ★ ★

كان راقدًا فى ذات الخيمة ..

لكن عينيه هذه المرة كانتا مفتوحتين تلمعان بالحياة .. وأدركت أن الطبيب قد أتى بمعجزة لاشك فيها ..

نظر لها نظرة صافية كالينبوع ، وابتسم ..

حقًا ليس الكلام سهلاً إلى هذا الحدّ .. ليس مجرد تحريك للشفتين واللسان خاصة حين يكون عليك أن تشكر من ضحى بحياته ليبقيك حيًا ..

ـ « أميرتى .. أنا .. آى ! »

كان هو البادئ بالكلام .. لكنها لم تجد جملة مفيدة فيما يقوله لها .. ماذا يقصد بأنه آى ؟

ثم أدركت أنه يتأوه ألمًا خاصة حين حاول النهوض ليعلن عن تقديسه الكامل لها ..

ربتت على ذراعه المضمد تدعوه ألا لا يتحرك .. نظرة الهيام فى العينين تتجاوز نظرة جندى لابنة مليكه إلى آفاق أرحب .. إن هذا المعتوه يحبها .. لاشك فى هذا .. فقط الحب هو ما يدفع إنسانًا إلى الوقوف فى وجه ثور هائج ..

الحب أو الإيمان الدينى هما ما يقودان لهذا .. لكن الإخلاص للملك لا يصل أبدًا إلى هذا الحدّ .. والدليل كون الحراس لم يجرءوا على التدخل إلا بعد زوال الخطر .

نعم .. هو يحبها ..

والغريب أنها لا ترفض ذلك ، بل وترحب به ..

ـ « شـ .. شـ .. شكرًا .. »

تقولها وهى تمسك بكفه القوية الخشنة .. لم تشعر قط أن كفها ـ التى دمرتها براثن الغسيل وسلك التنظيف فى المطبخ ـ يمكن أن تكون صغيرة رقيقة هشة إلى هذا الحدّ ..

قال لها هامسًا :

ـ « اشكرينى .. آى !.. على ما أنا مخيّر بصدده .. أما هنا فأنا مسيّر .. لم يكن .. آهاه !.. أمامى عمل آخر سوى هذا .. وبالتالى ..أوااه !.. لا مجال لشكرى..»

هنا دخلت إحدى الإماء الخيمة .. وانحنت على أذن (عبير) هامسة :

ـ « اغفرى لى يا أميرة .. فنحن فى سلسلة (فانتازيا) .. وأنت توشكين على تحويلها إلى سلسلة (زهور) الرومانسية .. إن المدير حانق .. ويريد

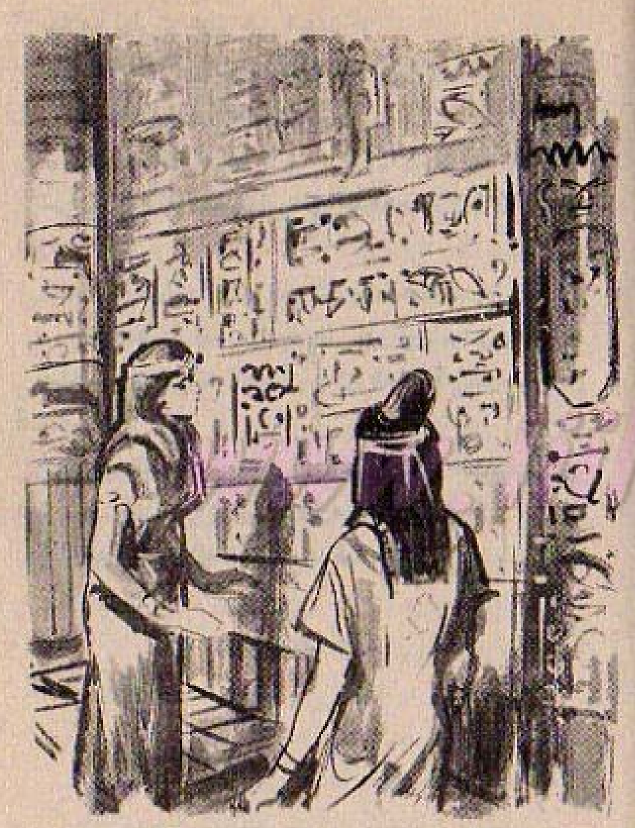
بعض الدماء وإلا استشاط غضبًا ! »
في ارتباك هتفت (عبير) :
ـ « معذرة .. لم أرد أن .. أردت أن أشكره فقط .. »
ـ « وقد فعلت .. والآن هيا بنا .. »
برفق تناولت يدها لتنهضها .. نظرة أخيرة حاولت أن تفعمها بالامتنان وجهتها نحوه .. ونهضت وراء الجارية ..

★ ★ ★

ـ « ولكن من أين آتي بالدماء ؟ »
تسأل الجارية وهما تسيران عبر ردهات القصر جوار الأعمدة الهائلة التي بناها (رمسيس) لتبقى ..
تقول الجارية :
ـ « هناك الكثير منها .. أولا هناك مؤامرات الكهنة ..»
ـ « مؤامرات كهنة ؟ »
ـ « دائمًا هناك مؤامرات .. ثانيًا : سترحلين مع الملك لقتال الحيثيين في (قادش) .. »
ـ « فتاة تحارب ؟ »
ـ « طبعًا .. وإلا من أين تأتي المغامرة ؟ لن تظلي هنا أبدًا تدهنين شعرك بالزيوت وتطربين لغناء القيان ..»
ـ « هل النسوة يحاربن في عهد الفراعنة ؟ »

ـ « بالطبع لا .. لكن (دي ـ جي ـ ٢) سيجد لك حلاً .. »
وهنا رأت (عبير) طفلاً مشاكسًا تبدو عليه سمات الإجرام عاكفًا على تشويه الجدران بمدية .. »
صاحت الجارية في حنق :
ـ « أيها الأمير (مربتاح) .. كفّ عن هذا ! وإلا ضربك الملك على مؤخرتك النبيلة ! »
أخرج الأمير لسانه لها وأطلق سبّة ديموطيقية بذيئة ثم راح يركض مبتعدًا ..
ـ « شيطان ! المصيبة هي أنه سيخلف أباه في الحكم .. هل سمعت عنه ؟ (مربتاح) أو (منفتاح) .. سيظهر من يزعم أنه فرعون سيدنا (موسى) الذي غرق في البحر الأحمر .. لكن هذه جميعًا ستظل مجرد تكهنات .. »
وتنهدت في مرارة :
ـ « سيكون عهده من أسوأ العهود حتمًا ! »
ثم همست في أذن (عبير) :
ـ « كل ما قلته لك سرّ .. أرجوك ! »
ـ « هذا لا شك فيه .. »

★ ★ ★



وسرعان ما تحقق أملها حين وجدت جدارًا هائلاً من الجرانيت الأسود حفرت عليه نقوش هيروغليفية لا أول لها ولا آخر ..

وفى استراحة النساء عادت (عبير) إلى الأريكة الوثيرة التى كانت ترقد عليها ..

غريب أمر هاته النسوة !..

كل ما يفعلنه هو فك ضفائرهن ثم إعادة تضفيرها .. هكذا إلى الأبد !.. والعازفات لا تكففن عن العزف والغناء .. والراقصات لا تتوقفن عن الباليه الفرعونى ..

إنها لحياة رتيبة مملة .. خاصة إذا ما أضفنا إلى هذا داء النساء الأزلى : النميمة والثرثرة .. وكم أن هذه الفتاة قبيحة وهذه منحلة وهذه كاذبة و ... و ...

ولم تكن (عبير) فى حياتها من هواة الثرثرة كلامًا ولا سماعًا ..

كانت تتوق إلى أن تقرأ .. وسرعان ما تحقق أملها حين وجدت جدارًا هائلاً من الجرانيت الأسود حفرت عليه نقوش هيروغليفية لا أول لها ولا آخر .. مئات الصقور والعيون والأيدى المقبوضة والمفتوحة والموجات المتكسرة ..

قالت لها (ميحور) فى افتتان :

ـ « إنها قصة عاطفية للحكيم (حتب ـ رع) .. لا أكاد أمل قراءتها .. وفى كل مرة تدمع عيناى كأنها المرة الأولى .. »

بيلامة نظرت عبير إلى الجدار :

ـ « هذه قصة عاطفية ؟! »

ـ « نعم .. مؤثرة جدًا .. »

ـ « وكيف تقرءونها ؟ »

ـ « إن العبيد يحملونك على أكتافهم لقراءة الفصول الأولى منها .. »

ـ « إذن القراءة على الفراش مستحيلة .. »

ـ « للأسف لم يدوّنها أحد على أوراق البردى بعد .. »

وفجأة تصايحت القيان : إن الملكة (نفرتارى) قادمة .

تكهرب الجو .. وعلى الركبتين جثا الجميع فى احترام .. فحذت (عبير) حذوهن ..

ولم تعرف أن الملكة تريدها شخصيًا ..

★ ★ ★

٤ ـ مؤامرات .. دسائس .. وما إلى ذلك ..

لاشك أن الملكة (نفرتارى) تملك شخصية كاسحة .. كل إيماءاتها ونظراتها هى إيماءات ونظرات ملكة لم تكن شيئًا آخر طيلة حياتها ..

وحتى صوتها ـ حين تكلمت ـ كان هادئًا منسابًا آمرًا لا تردد فيه ، ولا عبارة استدراك أو لحظة لعثمة ..

جديرة هى بأن تكون رفيقة عمر (رمسيس) التى تزوجها وهو غض غرير فى الرابعة عشرة من عمره ، بناء على أمر صارم من أبيه (سيتى الأول) .. إن الرابعة عشرة سن صغيرة بالنسبة للزواج .. لكن ليس مع (رمسيس) الذى كان يبدو فى العاشرة وكأنه فى الثلاثين من عمره .. لابد أن مظهره كان كفيلاً بخداع أى طبيب وحدة ريفية مطالب بتسنينه ..

قالت (نفرتارى) وهى تجيل بصرها بين الفتيات :

ـ « أين (إرمنحات) ؟ »

تبادلت الفتيات النظرات .. ولم تتحرك إحداهن ..

ـ « أين (إرمنحات) ؟ هل أصابكن الصمم ؟ »

شعرت (عبير) ـ التى نسيت اسمها الفرعونى

لثوان ـ بأيد تدفعها من الخلف .. مع همسات ملهوفة :

ـ « أنت !.. أجيبى !.. »

نهضت (عبير) ممتقعة الوجه لتقف مفككة الساقين أمام الملكة ، وهنا لاحظت الشبه القوى بينها وبين ناظرة المدرسة الإعدادية التى كانت فيها فى دنيا الواقع .

وتوقعت أن تقول لها كالعادة :

ـ « هاتى ولىّ أمرك غدًا ! »

لكن الملكة قالت فى حزم :

ـ « غادرن المكان .. أريد أن أكلم الأميرة على انفراد .. »

يا للكارثة !.. ماذا تبغى هذه المرأة منك ؟

ها هى ذى (نفرتارى) تتجه إلى الأريكة لتتكئ عليها وتقذف فى فمها ـ كالعادة ـ حبة عنب ..

قالت الملكة بذات النبرة الهادئة :

ـ « (إرمنحات) .. أنا لست أمك الحقيقية .. لكنى أرى من واجبى أن ألفت نظرك إلى بعض ما لم يرقنى من تصرفاتك .. »

واقفة منكسة الرأس فى ذلة ، استعدت (عبير) للتوبيخ الذى لا تعرف فحواه ..

ـ « هذا الجندى .. »

قالتها الملكة فى تعال ملكى أصيل :

ـ « الجريح الذى يزعمون أنه أنقذ حياتك .. »

ـ « ما له يا مولاتى ؟ »

ـ « إنك لتظهرين اهتمامًا غير حميد به .. أنت تعرفين كيف تسرى الهمسات فى البلاط .. أستطيع أن أؤكد لك أنهن يتحدثن عن الأمر فى كل مرة تديرين رأسك فيها .. الأميرات يجب أن يكن حريصات .. حتى بصفة الأميرة لها مغزى سياسى .. ولو أنك حككت ذراعك على الملأ لانتشرت الشائعات .. ولقال أعداؤنا إن الأسرة المالكة تعانى الجرب .. وهذا الجندى يا بنيتى ليس سوى واحد من العامة لم ولن يلعب دورًا فى حياتك ، لهذا أرى أن الوقت قد حان لإنهاء عبث طال .. »

الدموع تتدافع إلى عينيها متجمدة :

ـ « لكن يا مولاتى .. أقسم .. لم يحدث .. »

أوقفتها اليد الملكية الصارمة :

ـ « صمتًا !.. أعرف أن شيئًا لم يحدث .. وهذا مناسب تمامًا لأن تنتهى القصة حالًا .. قبل أن يحدث شىء .. »

وتناولت فخذ دجاجة من على المائدة جوارها (كيف تأكل هذه المرأة دجاجًا مع العنب ؟ كل الملوك يفعلون ذلك ولا تفهم (عبير) كيف) .. وقالت :

ـ « إن الجندى سيغادر القصر اليوم ليخدم فى جيش الفرعون .. »

بصرامة قالتها ..

بحزم قالتها .. فلم تترك لـ (عبير) أية فرصة للاعتراض أو إبداء الرأى ..

فقط هزت ذراعيها فى عجز .. وغمغمت :

ـ « م .. ك .. م .. س .. أ .. أ .. »

قالت الملكة وهى تنهض شامخة الرأس :

ـ « مسرورة أنا لأنك توافقين على رأيى .. »

وبحركة رشيقة غادرت المكان ..

* * *

اليوم يوم غير عادى يا سادة ..

إنه السابع من شهر الفيضان الأول عام ١٢٩٤ قبل المسيح .. أحقًا لاتعرفون معنى هذا ؟..

إنه عيد ميلاد الفرعون (رمسيس الثانى) .. والذى تحمل بطاقته الشخصية اسم (أوسر معات رع) .. الاسم الأصلى له .. لكننا نفضل اسم الشهرة (رعمسيس).

وفى أنحاء عاصمة البلاد الشرقية (بررعمسيس) راح الناس يهللون ويتصايحون .. وتصاعدت أناشيد الكهنة .. ورقصت الفتيات بارعات الحسن فى الطرقات .

وفى السماء رفرفت إوزات أربع تحمل النبأ السعيد ـ كما يظنون ـ إلى الآلهة فى أرجاء السماء جميعًا ..

كم يبلغ عمر الفرعون اليوم ؟

إن هذه الضوضاء تقول : إن هذا الفرعون المهيب فى الثانية والعشرين من عمره !.. فلا ننس هنا أنه تولى الحكم فى العشرين من عمره ..

أما عن كيفية إنجابه لفتاة فى سن (عبير) فسؤال لا داعى له ، لأنه لا منطق للأمور فى (فانتازيا) ..

يا نجوم السماء ويا أسماك البحار .. لا يكفنَّ لسانكن عن ترديد اسم الفرعون العظيم .. ابن (آمون) .. الذى جاء المخاض أمه (ثويا) فأنجبته فى لحظة طهور .. بينما جاءت (إيزيس) و (نفتيس) و(مسخنت) ـ حبيبة كل أم تلد ـ ليساعدنها ..

ويتصاعد المزيد من البخور .. ويحلق فى الأجواء مزيد من أناشيد الكهنة والحمائم ..

ألم أقل لكم : إن اليوم يوم غير عادى ؟!

* * *

على أن شيئًا ما عكر صفو هذا الحفل ..

عربة حربية تخترق الجموع .. مغبرة .. مهشمة .. انغرست فيها عشرات السهام .. وخلف اللجام يقف جندى مراسلة منهك ملطخ بالدماء يجذب أعنة الخيول الثلاثة المنهكة بدورها .. ويصرخ فى الحشود أن أفسحوا الطريق ..

ويصل الجندى إلى القصر فيهرع طالبًا لقاء (رعمسيس) .. ويشق طريقه إلى قاعة العرش تاركًا من خلفه خيطًا طويلًا من الدماء ..

فما إن يرى الملك حتى يهوى على ركبتيه :

ـ « (موتالى) يا مولاى ! »

ثم يسقط على ذراعيه المفرودتين ..

قال (رعمسيس) فى تؤدة وهو يرفع عصاه فى الهواء :

ـ « أيها الجندى .. هذا هو المبتدأ .. فأين الخبر ؟ إن هذه جملة ناقصة غير مفيدة .. »

قال أحد الكهنة الصُلع الواقفين خلف (رمسيس) :

ـ « بالتأكيد يريد القول إن (موتالى) قد تمادى .. أو بالغ فى طغيانه .. أى خبر سيئ من هذا القبيل .. »

ـ « هذا صحيح .. » ـ قال الجندى وهو يبتلع ريقه ـ « إن (موتالى) يحشد عشرين ألف جندىٍ فى (قادش) .. وهو ينوى الزحف على مصر .. »

ـ « تبًا له ! »

صاح (رمسيس) فى عصبية .. ثم أشار إلى الحرس المحيطين به أن يقبضوا على جندى المراسلة :

ـ « ألقوا بنذير الشؤم هذا إلى التماسيح ! »

قال الكاهن الواقف وراءه :

ـ « للأسف يا مولاى .. إن التماسيح كلها مصابة بتخمة شديدة .. وقد مات أكثرها .. إننا نطعمها أكثر من اللازم فى الفترة الأخيرة .. »

ـ « إذن ألقوه فى غياهب الجبّ .. »

قال الجندى فى إرهاق :

ـ « أنا الناجى الوحيد من كتيبة الاستشعار عن بُعد التى أرسلها الفرعون العظيم إلى (سوريا) .. والآن يكون السجن جزائى على ما جئت به من أنباء سيئة ؟ »

فكر الفرعون هنيهة ثم غمغم :

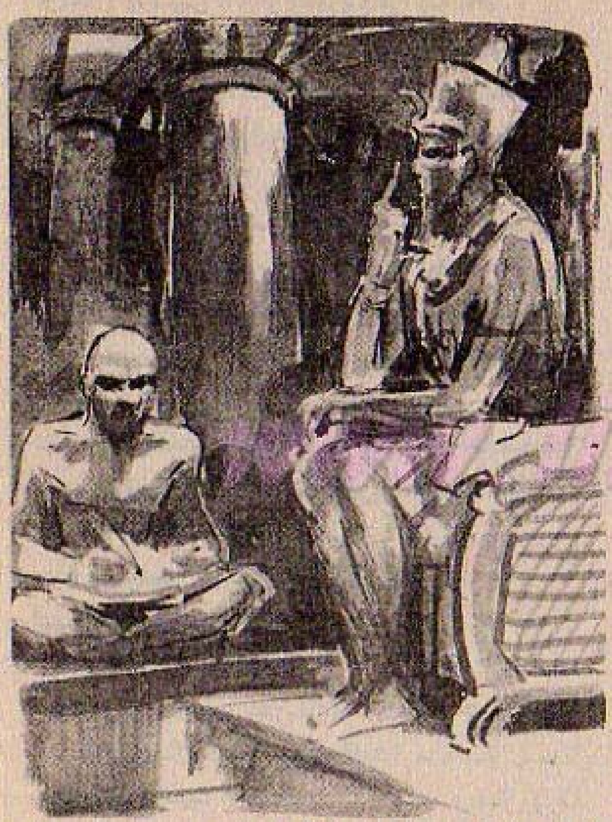
ـ « هذا ليس عدلًا فعلًا .. قدموا البيرة لهذا الجندى الشجاع .. ومعها خبز (أوزوريس) .. »

ثم نظر إلى من حوله نظرة ثاقبة أرغمتهم على خفض عيونهم .. وهتف :

ـ « إذن هى الحرب من جديد .. سئمت هذا الوغد (موتالى) الذى لم يحترم عهدًا ولم يصدق فى حرف واحد .. ولقد حان الوقت ليعرف أن (مصر) ليست لقمة سائغة .. »

كان الجندى المغبر عاكفًا على شرب البيرة .. صحيح أنها كانت تخرج من ستة ثقوب فى عنقه وبطنه ، حتى بدا كأنه (دش) آدمى كبير .. لكنه كان سعيدًا .

هنا جاء الكاتب المصرى الجالس القرفصاء بناء على استدعاء الفرعون له ..



وضعوه جوار الفرعون .. فمال هذا الأخير عليه .. وصاح بصوت جهورى

- « اكتب .. اترك مسافة .. مسافة أخرى .. ؟ ..

جاء محمولاً من ذراعيه ، لأن ساقيه وفخذيه تصلبوا فى وضع القرفصاء إلى الأبد .. فصار عاجزاً عن السير ، كما أنه ظل يحتفظ بتلك النظرة الجامدة لأعلى كأنما ينتظر ما يملى عليه ..

وضعوه جوار الفرعون .. فمال هذا الأخير عليه .. وصاح بصوت جهورى :

- « اكتب .. اترك مسافة .. مسافة أخرى .. أنا (رعمسيس الثانى) ملك (مصر) وابن (آمون) .. قررنا ما هو آت : يتم تشكيل أربع فرق من أجزاء البلاد المختلفة مهمتها الزحف على (قادش) ، وسلخ جلد المدعو (موتالى) ملك الحيثيين عدونا العتيد .. »

وانتظر حتى انتهى الكاتب من تدوين ما قيل .. ثم واصل الكلام :

- « الفرقة الأولى من (طيبة) .. سيكون اسمها (آمون) وستكون تحت قيادتنا شخصياً ... الفرقة الثانية اسمها (بتاح) وستكون من (منف) ... فرقة (رع) يتم تشكيلها من سكان (هليوبلس) .. الفرقة الرابعة هى فرقة (ست) وسيتم تشكيلها من سكان (تانيس) .. »

وللسادة غير الملمين بالمدن الفرعونية نقول : إن (طيبة) هى (الأقصر) الحالية ، و (تانيس) هى محافظة الشرقية الحالية ..

أردف (رمسيس) وهو يستريح فى جلسته :

ـ « الهدف : تدمير قوة العدو الهجومية ومعنويات جنوده .. جزاءات : لا يكن .. أوامر : لا يكن .. بتاريخ شهر الفيضان الأول من عام ١٢٩٤ قبل المسيح .. انتهى .. »

كيف عرف أن المسيح قادم بعد ١٢٩٤ سنة ؟ لا يهم .. فلسنا فى دعابة من دعابات العملة المزورة التى كتب عليها ٣٠٠ ق.م.. إنما نحن فى (فانتازيا) .

ثم إن (رمسيس) قال ـ وهم يحملون الكاتب الجالس القرفصاء ـ لمن حوله :

ـ « أبلغوا الحفارين لعمل ألف نسخة من هذا التوجيه المعنوى .. وليتم استدعاء الاحتياطى وتنظيم الصفوف ».

تساءل أحد الواقفين فى حيرة :

ـ « ومتى يبدأ الزحف يا مولاى ؟ »

ـ « بعد أسبوعين .. »

ـ « ومن أين يبدأ ؟ »

ـ « من (ثارو) .. »

ثم نظر إلى من حوله .. وغمغم :

ـ « ترانى نسيت شيئًا ؟! »

★ ★ ★

٥ ـ ضغائن .. أحقاد .. وما إلى ذلك ..

مادمنا هاهنا بصدد الكلام عن بلاط ضخم مثل بلاط (رعمسيس) ؛ فلنا أن نتصور أنه عالم كامل متكامل يزخر بالأحداث التى يمكن أن تزخر بها قطرة ماء تحت مجهر ..

فى البدء انتشرت أنباء الحملة القادمة .. وتهامس الجند والحراس أن فى الأمور أمورًا ..

وعلمت (عبير) بما كان فى الاجتماع الذى عقده (رمسيس) مع قادته ، وبالطبع قرأت المنشور إياه .. وهو أمر طبيعى بالنسبة لمنشور من البازلت الأسود يزن طنين وارتفاعه ثلاثة أمتار ..

وبدأت عملية استدعاء الاحتياطى من القرى والنجوع فى نواحى المعمورة ، ولحسن الحظ كان هذا هو موسم الفيضان الذى يلى ظهور النجم الأكبر .. عندما لا يكون على الفلاح سوى أن يقبع فى داره وينتظر .. ينتظر أن تنحسر المياه عن الحقول التى غمرتها ليبدأ ـ بالتالى ـ غرس البذور ..

وكان الفلاح يتجه لإجراء الكشف الطبى ، وعمل

التحاليل اللازمة .. عندئذ قد يجدونه لائقا أو يجدونه مصابًا بـ (عاع) ، من ثم يتم استبعاده ..

و (عاع) – لمن يهمه الأمر – هو أول أسماء لعنة مجارى المياه فى (مصر) : البلهارسيا .. تلك الآفة المقيتة التى أصابت المؤرخ اليونانى (هيرودوت) بالذهول حين جاء إلى (مصر) أول مرة ، وقال قولته الشهيرة : رأيت فى (مصر) رجالا يحبلون ويحيضون ! وحبل الرجال هو الاستسقاء .. وحيض الرجال هو البول الدموى ..

الخلاصة : أن الأمور لم تعد قط كما كانت .. وخيم جو من التوتر على الجميع الذين أيقنوا أن هذه المرة ليست كباقى المرات .. وأن الأمر يتجاوز حملات التأديب القديمة المختصرة إلى حرب حقيقية ..

* * *

(ميحور) هرعت إلى (عبير) تخبرها بالنبأ ..

– « (حشت – آمون) .. يا أختاه .. »

هتفت (عبير) فى حيرة وهى تتأمل ذعر شقيقتها :

– « (حشت) ماذا ؟ »

– « (حشت – آمون) فى مأزق .. »

بدا الغباء على (عبير) .. وواصلت التساؤل :

– « من هو هذا الـ (حشت – آمون) ؟ »

– « ومن سواه ؟.. الجندى الشهم الذى أنقذك يا بلهاء .. إن (وحدة الاستخبارات) قد اعتقلته .. ويقولون : إنه جاسوس من الحيثيين .. »

– « تبًا للحمقى !.. وأين هذه الـ .. الاستخبارات ؟ »

قادتها (ميحور) فى لهفة إلى ممر طويل ..

فى نهاية الممر يوجد باب جواره مشعل معلق .. ودرجات حجرية تقود لأسفل ، بينما يقف تمثالان لـ (ست) إله الشر على جانبى الباب كأنما يحرسانه ..

فى صمت أشارت (ميحور) إلى المدخل ، وهزت رأسها بمعنى أنها لن تجرؤ على النزول أكثر ..

سألتها (عبير) فى رهبة وهى ترمق المدخل :

– « ما هو أساس ادعائهم ؟ »

– « بالطبع هو الوغد (ساكا) .. هذا واضح .. »

كانت (عبير) تشعر بخيبة أمل .. حبيبها الرقيق المرهف اسمه (حشت) ! وهى الفتاة الناعمة الرقيقة تحب من يدعى (حشت) ..

بالإضافة لهذا هناك وغد .. والأسوأ أن اسمه (ساكا) .. ليس الوقت موائمًا للأسئلة على العموم .. فلتنزل الدرجات سريعًا وترى ما هنالك ..

وقبل أن تنزل سألت (ميحور) :

ـ « هل مسموح لى بالدخول ؟ »

ـ « لا أحد يجرؤ على منعك من أى شىء .. »

ـ « تبدين خائفة .. »

ـ « لأن .. لأن .. »

وابتلعت ريقها ثم هزت رأسها الجميل ، دون كلمة أخرى ..

فرت مبتعدة ..

لم تجد (عبير) بدًا من تناول المشعل .. والنزول فى الدرج الصخرى نحو القبو الذى يشكل (دائرة الاستخبارات) ..

فى البدء رأت مجموعة مشاعل وعشرة رجال يقفون حولها .. ثم رأت ما يشبه تابوتًا خشبيًا فى الوسط ..

بتدقيق النظر أكثر عرفت أن هذا ليس تابوتًا .. بل هما قاربان خشبيان وضع أحدهما مقلوبًا فوق الآخر .. وقد ثقب القارب السفلى ، ليخرج منه رأس وذراعا إنسان .

كان هذا هو عقاب القارب البابلى الشهير الذى قرأت عنه من قبل .. فالسجين يعيش حياته كلها كقطعة جبن بين شطيرتى خبز ، بينما يتم إطعامه بإفراط .. وبالتالى

تتراكم فضلاته وقاذوراته حول جسده السجين ، وتتلوث قروحه ، ويعانى آلامًا لا توصف .. وهى من أشنع العقوبات البابلية ـ بعد سلخ الجلد حيًا ـ التى حفظها لنا التاريخ(*) ..

لا داعى للقول طبعًا أن السجين كان هو .. ماذا كان اسمه ؟ آه .. (حشت ـ آمون) هذا ..

كان السجين يصرخ مولولاً :

ـ « سأعترف لكم ! أعترف بالتآمر مع الحيثيين .. أعترف بقتل (رمسيس الثانى) لو أردتم ! »

قال أحد الجلادين فى هدوء وهو يستند على التابوت :

ـ « (رمسيس) لم يزل حيًا يرزق يا فتى . فلا تبعث بنا .. »

صاح السجين فى هستيريا :

ـ « سأعترف بتسميم (نابليون) .. باغتيال أرشيدوق النمسا .. بأى شىء تطلبون .. فقط أخرجونى من هنا ! »

تبادل الرجال النظرات الراضية ..

قال أحدهم وهو ينظف أسنانه بنصل خنجره :

ـ « هل ترون ؟ لقد أصبح عاقلاً .. »

(*) حقيقة .

وقال آخر أصلع الرأس شرس الملامح :

ـ « إن رحلتى إلى (بابل) لدراسة أحدث تقنيات التعذيب قد أتت أكلها .. »

ـ « أحسنت يا ناع .. »

ورأت (عبير) عملاقين زنجيين يفتحان القاربين ليخرجا السجين من داخلهما .. رائحة عفنة تغمر المكان .. قدماه لم تعودا قادرتين على حمله ، فهما تنثنيان تحته كعودين من المكرونة المسلوقة .

لكنهما حملاه إلى لوح أسود عملاق من البازلت امتلأ بكتابة هيروغليفية جميلة المنظر ... وقدم له الرجل الأصلع إزميلا ومطرقة ، وبلهجة آمرة صاح به :

ـ « هلم .. امهر لنا هذا الاعتراف بتوقيعك ! »

ـ « ولكن ..... »

ـ « يبدو أنك اشتقت إلى القاربين ! »

ثم أضاف مبتسماً فى خبث :

ـ « لقد أرحناك من حفر كل هذا الاعتراف وقام حفارونا بهذا .. كل ما عليك هو التوقيع .. »

ـ « كفى !! »

كانت هذه صيحة (عبير) الغضبى ، إذ رأت ما يكفى من القسوة وازدراء الآلام البشرية ..

كان الغضب عصا ساحر أكسبتها قوة شخصية وتأثيرا كاسحاً أرغم كل الواقفين على أن يتصلبوا .. ثم يجثوا على ركبهم فى تقديس مذهول ..

ـ « التحية يابنة (آمون) .. »

تقدمت بضع خطوات بينهم .. ثم هتفت :

ـ « أين المسئول هنا ؟ »

كان المسئول هنا هو الرجل الأصلع .. الذى هرع نحو (عبير) وانحنى عند قدميها .. ثمة وريد أزرق مقيت يعبر رأسه الصلعاء اللامعة كحذاء جنتلمان ..

ـ « أنا المسئول يا أميرة .. هى هى ! »

ـ « لماذا تعذبون هذا الخائن ؟ »

ـ « لأنه خائن يا أميرة .. هى هى ! »

ـ « وقد حصلتم على اعتراف كامل .. »

ـ « إننا لا نضيع وقتنا .. »

ـ « وبعد هذا ؟ »

ـ « بعدها نحمل الاعترافات إلى مولاى الملك .. هناك أكثر من مائة عبد معدين لنقل هذه الاعترافات إلى الملك .. وحتماً سوف يصدر الأمر بإعدام هذا الجاسوس رمياً للتماسيح .. هذا ـ بالطبع ـ بعد أن تشفى هذه الأخيرة من التخمة .. »

قال واحد من الزبانية المحيطين به :

ـ « يجب تطوير هذه الطريقة .. فى روما يرمون المساجين إلى الأسود .. وفى بلاد الإزتك يعلقون السجين لتنهش النسور جسده .. »

ـ « المهم يا أخى (ست ـ حتب) أن السجناء يُلقى بهم الشئ ما .. هذه هى فلسفة العقاب ..»

فى حزم رفعت (عبير) ذراعها لتوقف هذه الثرثرة .. وتساءلت وهى تتأمل الأصلع مشمئزة :

ـ « ما هو الدور الذى لعبه مع الحيثيين ؟ »

قال الرجل فى سرور :

ـ « هذا هو (التاكتيك) المعقد الذى رسمه لنفسه .. أولاً : الثور الذى يهاجم الأميرة .. التظاهر بإنقاذك .. ثانيًا : دخول القصر لمعرفة خطط الأسد من داخل عرينه ..

ثالثًا : إحم ..... »

وتنحنح فى حرج .. ثم أردف وهو يتحاشى عينيها :

ـ « إحم .. محاولة استمالة الأميرة .. إحم .. لتكون فى صفه ! »

ـ « استمالة ؟! »

صاحت بصوت جهورى (وكانت قد دخلت فى دور الأميرات حقًا) :

ـ « استمالة ؟ هذا الرجل كان خرقة صالحة لتلميع الأثاث وكاد يلفظ أنفاسه لولا براعة طبيب القصر .. وتتحدث عن التآمر ومحاولات الاستمالة ؟ يا لها من مؤامرة عبقرية تلك التى تبدأ بأن يلقى نفسه فوق قرنى ثور ! »

مرتبكا قال وهو يتراجع للوراء :

ـ « يا أميرة .. لـ .. لم أكن أنا صاحب هذا الرأى .. بل .. هو .. الأمير (ساكا) .. »

هنا تذكرت ما قالته لها (ميحور) .. إن (ساكا) وغد لا يترك فرصة كهذه .. ولكن من هو (ساكا) هذا ؟

قالت فى اشمئزاز وهى توليه ظهرها :

ـ « أطلقوا سراح هذا الرجل فورًا .. وكفاكم سخفًا .. إن عادة تلفيق الاعترافات قديمة ـ فيما يبدو ـ قدم الكلام ذاته .. لكنى أنصحكم : لا تجعلوا هذا الشجاع يندم على إنقاذ حياتى وإلا ندمتم بدوركم على جعله يندم ! »

نظر الرجل لمن حوله .. وتنهد فى استسلام :

ـ « قد سمعتم ما قالته الأميرة يا مخابيل .. أطلقوا سراح الخائن ! »

فى حنق هتفت (عبير) :
ـ « بل هو مواطن شريف ! »
ـ « أطلقوا سراح المواطن الخائن الشريف .. »
وغمغم وهو ينظر للسقف :
ـ ولتحمنا (إيزيس) من غضبة (ساكا) ! »
من هو (ساكا) هذا ؟

* * *

ـ « (ساكا) » ـ تقول (ميحور) ـ « هو الرجل القوى الثانى فى بلاط (رمسيس) .. وهو ذئب فى صورة رجل .. صحيح أنه أمير إلا أن له أخلاق اللصوص .. أحط أنواعهم .. ومن نافل القول أن أقول : إنه يهيم بك حبًا ويريد الزواج منك .. »
ـ « يتزوجنى ؟ أنا ؟ »
ـ طبعًا .. إنه مفتون ببشرتك السمراء وشعرك المجعد وصفار أسنانك وعينيك .. وبالطبع هو دبر الأمر كله من منطلق الغيرة .. إن اهتمامك بالجندى لا يخفى على أحد .. »
ـ « لكننى لن أستطيع الزواج من الجندى أبدًا .. »
ـ « لكنك تستطيعين أن تحبيه .. ولن يستطيع أحد أن يمنعك عن ذلك .. وهذا هو ما يثير حنقه .. إنه

يريد أن يريك من هو الأقوى هنا .. »
ـ « وأبى ؟ ما رأيه فى كل هذا ؟ »
ـ « آه .. إن الملك العظيم تنتهى علاقته بأبنائه بمجرد أن يسمع خطوات المولدة خارجة من مخدع زوجته.. »
ثم همست فى أذنها .. والرعب فى عينيها :
ـ « صه !.. إن الوغد قادم ! »
ـ « وغد ؟ تعنين (ساكا) ؟ »
ـ « لا يوجد أوغاد كثيرون فى البلاط .. »
وجذبتها لتتوارى معها وراء ستار .....
وفى ضوء الممر الشاحب رأت (عبير) للمرة الأولى كيف يبدو (ساكا) ..
وأدركت للمرة الأولى أنه يحمل رمحًا .. وأن الشر فى عينيه ....

* * *

٦ ـ تهديدات .. تحرشات .. وما إلى ذلك ..

كان وسيمًا .. له تقاطيع دقيقة منتظمة .. وكان قوى البنية والشخصية معًا .. لكنه جمال النمر المتحفز الواقف يتربص بك فوق غصن شجرة .. جمال ثعبان الأصلة وهى تزحف في بطء نحوك ؛ لتهشم كل عظمة من عظامك جمال قنينة سمّ على مائدة نبيل إيطالى من أسرة (بورجيا) ....

وأدركت (عبير) أنه شخص مرعب ، وأنها لن تستريح إليه لحظة واحدة ..

صاح فى غضب وهو يلوح برمحه فى الهواء :

ـ « اخرجي من مكمنك أيا (إرمنحات) فقد رأيتك تختفين .. وأنت أيتها البلهاء (ميحور) .. معها .. »

ابتلعت (عبير) ريقها وخرجت من وراء الستار .. وتبعتها الأخرى .. ووقفتا متوترتين أمام هذا النمر أو ثعبان الأصلة أو قنينة السم الإيطالية ..

ـ « أنت يا (إرمنحات) يا أخت روحى جرؤت على إهانة أوامرى لدى رجالى .. »

قالها فى نوع من اللوم .. وأردف بعصبية أكثر :

ـ « ومن أجل من ؟.. من أجل جاسوس .. »

ـ « ليس جاسوسًا يا (ساكا) .. وأنت تعلم ذلك .. »

ـ « اعترف بذنبه .. »

ـ « التعذيب قد يرغم الأسد على أن يموء كالهرّ .. والاعتراف تحت التعذيب لا قيمة له .. »

مدّ يده ـ يدًا قوية فى الواقع ـ ولفّ بعض خصلات شعرها حول قبضته .. وجذبها نحوه ..

لاحظت (عبير) أنه يضع ماكياجًا كاملاً : كحلاً .. وطلاء شفاه .. وظلال عين .. بل إن الشعر الجميل على رأسه لم يكن سوى جُمّة مضفرة ..

هذه هى عادة نبلاء الفراعنة من الذكور وليست هواية خاصة بالأخ (ساكا) .

كان يلهث وقد قرّب وجهه من وجهها .. يلهث انفعالاً ويلهث غضبًا .. ويلهث كى يكون مرعبًا ؛ لأن اللاهثين يوحون لمن يسمعهم أنهم أقرب إلى الوحوش :

ـ اسمعى يا (إرمنحات) .. ثمة رجل واحد فى حياتك .. هذا الواحد لن يكون هناك قبله ولا بعده .. لا مفرّ ولا مخرج .. هذا الرجل يُدعى (ساكا) .. أحب أبناء (رعمسيس) إلى قلبه وأقواهم .. وأجملهم ..، ومن عادتى أننى لا أترك العقارب حية تحت قدمىّ .. بل أطؤها فورًا .. هل فهمت ؟ »



مدّ يده ـ يدًا قوية فى الواقع ـ ولفّ بعض خصلات شعرها حول قبضته .. وجذبها نحوه ..

احتشدت الدموع فى عينيها .. لكنها لم تجد ما تقول، طيلة عمرها لم تستطع الردّ على الهجوم .. فلو أن هذا الوغد أعطاها بضع دقائق لردّت عليه ردًا قاسيًا .. مشكلة الأشرار دومًا هى أنهم أكثر إيجابية وأسرع بديهة من الأخيار ..

ابتسم .. وداعب خدها بطرف الرمح المدبب فى رقة :

ـ « إن العشاق يكونون قساة أحيانًا كثيرة يا أميرة .. »

ثم نظر نظرة رهيبة إلى (ميحور) .. وابتعد فى تؤدة ..

ـ « يا للخنزير ! »

قالها (ميحور) من بين أسنانها فى تقزز ..

أما (عبير) فظلت تتهنه حينًا .. إلى أن تمالكت أعصابها ، فقالت وهى تتمخط فى الستارة :

ـ « بففففت ! » « كيف يكون هذا الخنزير ابن (رعمسيس) ؟ »

ـ « أنت تعرفين يا (إرمنحات) أنه كذلك .. »

ـ « إذن أنا أخته .. »

ـ « نعم .. هو كذلك .. »

ـ « ويريد أن يتزوجنى ؟! »

قالت (ميحور) فى ملل وهى تربّت على ذراع (عبير) :

ـ « سئمت جهلك بكل شىء يا أختاه .. لولا أن

(دى ـ جى ـ ٢) كلفنى بأن أفسر لك كل ما يعتم عليك لما باليت بأن أضيع وقتى معك .. أنت تعرفين أن زواج الإخوة كان سائدًا بين ملوك الفراعنة ، وهذا حتى لا يتسرب الدم الملكى خارج الأسرة .. هذه بديهية يا ملاكى ... »

ـ « لكن هذا .. حـ .. حرام .. »

ـ « بالطبع .. لكنه كان يحدث .. »

قالت (عبير) وهى تصلح خصلات شعرها :

ـ « هذا حافز قوى حقًا كى لا أتزوج هذا الخنزير .. »

ـ « ثقى بأن هذا لن يحدث لأن خيالك لن يصل لهذا الحدّ .. لكن المشكلة أنه سيجعل إقامتك فى القصر جحيمًا .. »

التمع التصميم فى عينى (عبير) :

ـ « لن يكون هذا .. سأتصرف .. وليسمعن (ساكا) عنى ما يثير حفيظته وحنقه .. »

★ ★ ★

غاضبة حانقة إيجابية مُستفزة ثائرة مصممة عاتية ؛ تقتحم (عبير) قاعة العرش لتجد (رعمسيس) أباها جالسًا مقطب الجبين .. بينما يقف أمامه مجموعة من القواد ملتفين حول نموذج مجسم لـ (قادش) وضعوه على الأرض الرخامية .. كان يناقش معهم خطة الهجوم ..

هنا تقدمت (عبير) حتى وقفت أمامه .. وبعصبية صاحت وهى تزيح قائدًا بدينًا ضخم البطن من أمامها :

ـ « أبى .. ألن تفعل شيئًا بخصوص المدعو (ساكا) ؟! »

قال له أحد الواقفين جواره :

ـ « هى الأميرة (إرمنحات) يا مولاى .. رقم ٥٨ .. الأم أسيرة حبشية من بلاد (بونت) .. »

نظر لها (رمسيس) غير فاهم لما يحدث .. ثم تساءل :

ـ « ومن هو (ساكا) ؟ »

ـ « هو الأمير (ساكا) يا مولاى .. رقم ٣٧ .. الأم هى الملكة (نفرتارى) شخصيًا .. »

ـ « آه .. فهمت .. »

ثم نظر لمن حوله فى حنق :

ـ « كيف تدعونها تدخل ؟ لا وقت عندى لمشاجرات الأطفال من نوع : هو أخذ كرتى .. بل هو أخذ دميتى .. أين المربيات ؟ أين القيان ؟ يبدو أننى أطعم الجميع على سبيل الزكاة ! »

صاحت (عبير) محاولة أن تجتاز إعصار غضبه المدوى .. وتأثير شخصيته الكاسحة :

ـ « (ساكا) يهدد بذبحى ما لم أتزوجه .. »

ـ « يا له من رجل دافق العاطفة !.. هكذا يكون الرجال .. »

- « ويلفق التهم للأبرياء .. »
- « إنما هذه شيم الحكام الأقوياء .. »
وتثاءب فى ملل مردفًا :
- « كما ترين يا طفلتى أنا مشغول .. حاولي أن تلجئى إلى الملكة كى تحلّ مشاكلك .. »
- « الملكة (نفرتارى) ؟ أمه ؟! »
هنا تلوّن وجهه بلون الحنق الأحمر .. وصاح بصوت ارتجّت له جدران القصر :
- « إنها ملكتك .. وملكة مصر كلها ..!.. والآن انصرفى قبل أن يعيل صبرى .. »
وهكذا لكم أن تراهنوا يا رفاق على أن (عبير) غادرت المكان مولولة باكية دامعة محطمة يائسة منهارة.

★ ★ ★

كان السجان (سحت) جالسًا على الأرض جوار باب الزنزانة يترنم بأغنية فظة سمعها .. ونظرًا لأنها فظة فإنها الأغنية الوحيدة التى استطاعت أن تنفذ إلى روحه الحيوانية بكلماتها الرديئة وألحانها الأسوأ ..
- « كوز المحبة اتخرم .
إديله بنطة لحام .. »
وشرع يعبث فى أصابع قدميه مستشعرًا تلك اللذة التى يحسها الرجال جميعًا حين يداعبون أقدامهم فى فخر وانتشاء ..

هنا سمع حفيفًا .. ورأى ظلاً يدنو منه .. فهب مذعورًا يبحث عن رمحه ..
- « مـ .. من هناك ؟ »
رفعت الجارية الحسناء إصبعها إلى فمها تدعوه للصمت ، وفى عينيها الساحرتين التمع ضوء المشعل :
- « صه يا (سحت) .. أنا (بت) .. »
- « (بت) ؟ وماذا تريدين هنا ؟ »
قالت وهى تلوح بقلة من الفخار فى يدها :
- « قد جئتك ببعض من دماء (أوزريس) .. شقّ علىّ أن أتصور جلستك وحيدًا طيلة الليل دون تسلية .. إنّ هذا الشراب معتق .. ربما منذ عهد الأسرة الرابعة ، وعندما تشربه ستعرف حقًا قدر نفسك .. »
وقربت القلة منه أكثر :
- « يا للخسارة ! رجل قوى مثلك .. »
- « جلوك جلوك !.. هذا صحيح .. بحق (آمون) إنه لشراب قوى .. جلوك جلوك !.. إن رأسى يتراقص من فرط النشوة .. لم أعتد هذه الأنواع الجيدة .. »
- « يا مسكين !.. ماذا كنت تشرب قبل هذا ؟ »
- « كنا نشرب عصير الباذنجان المختمر !.. إن هذا ليفوق قدراتـ .... »

ثم هوى فوق الأرض كجلمود حطه السيل من عل ، على رأى (امرئ القيس) .. ، ومن فوق كتفها نادت الجارية (عبير) كى تلحق بها ..

جاءت هذه تلهث .. وبصعوبة مرت من فوق جسد الوحش النائم .. وأمسكت بكفى الجارية وراحت ترتجف .

ـ « كـ.. كيف صدقك بهذه البساطة ؟ »

ـ « هكذا يحدث فى القصص دائمًا .. كل الحراس حمقى .. وحيلة الخمر الممزوجة بالمنوّم لا تفشل أبدًا .. سينام كالأطفال لمدة ساعتين ثم يصحو ناسيًا كل شىء عنى .. لن يعرف سوى أن السجين قد فرّ .. »

وشرعت تنقب فى نطاقه بحثًا عن مفتاح الزنزانة .. فشرع هذا يضحك فى نومه .. لابد أن هناك من يدغدغه فى المنام ..

كان نطاقه يحوى أشياء عجيبة .. أصابع مقطوعة لأعدائه .. يبدو أنه يستعملها كميداليات .. خنجر حفر عليه اسم حبيبته (حاح) .. ثم ... المفتاح ......

هنا همست الجارية لـ (عبير) وهى تلثم خدها :

ـ « إلى هنا وقد غدا انسحابى واجبًا يا أميرة .. أرجو لك حظًا سعيدًا .. »

ـ « شكرًا جزيلًا يا (بت) .. سأدعو لك كثيرًا بعد أن يرموك للتماسيح عقابًا على فعلتك هذه .. »

ـ « أية خدمة يا أميرة .. إنها المرة السابعة التى أفعل فيها نفس الشىء مع نفس السجان ! »

ـ « .... ؟! »

وحين وجدت (عبير) نفسها وحيدة ، راحت فى هستيريا تولج المفتاح فى قفل الباب الخشبى العملاق ..

هوذا يستجيب .. ينفتح بصرير مروع ..

فى الداخل لا شىء سوى الظلام ..

استعانت بالمشعل لتشق طريقها إلى الداخل .. ثمة جسد متكوم فى الركن جوار طبق من فخار وحزمة من الخس .. لقد أنهى البائس عشاءه ونام ......

دنت منه ببطء .. ونادته بصوت رفيق :

ـ « (حشت) ! »

ـ « هم م م ! »

ـ « أنا هنا .. (إرمنحات) حبيبتك .. جئت لأنقذك .. »

ـ « م م م م ! »

برفق راحت تهزّه .. إن نومه لثقيل حقًا .. هو ذا يفتح عينيه .. يدير وجهه نحوها ببطء .. ولكن ..

ـ « أنت لست (حشت) ! »

قال (ساكا) وهو ينهض ضاحكًا بوحشية :

ـ « ومن زعم غير هذا ؟!! »

....

★ ★ ★

٧ - زمن الرجـال ..

كان ضخمًا كثور .. عنيفًا كنمر .. سمجًا كسحلية (الـورل) .. ورأتـه (عبير) يتجـه نحوهـا ببـطء ليحاصرها فى ركن الزنزانة .. وبرفق - أقرب للحنان - انتزع المشعل من يدها .. وهنا خطر لها للمرة الأولى أنها كانت تستطيع قذف المشعل فى وجهـه ، لكنهـا تذكرت هـذا بعد فوات الأوان طبعًا .. وهى الآن ترى رقصة الظلال على سحنته ..

تساءلت وهى تتراجع للوراء :

- « كـ .. كيف جئت هـ .. هنا ؟ »

- إن (بت) واشية .. وهى تمارس هوايتها هذه مع كل الأطراف .. لهذا انتظرت هنا حتى أراك متلبسة .. فقد أخبرتنى بكل نواياك .. »

- « و .. والجندى السجين ؟ »

- « آه .. لم يمت بعد .. لكنه ينتظر ذلك فى مكان آخر .. »

- « والسجان ؟.. كان يتظاهر بـ .....؟ »

- « بل هو نائم بالفعل .. أنا أردت ذلك .. »

وابتسم فى قسوة .. وهمس :

- « الآن أنا وأنت سجينان ها هنا .. لا مفر لك منى ولا مفر لى منك .. أليس هذا رائعًا ؟! »

أحست بـالجدار الحجرى البارد يلمـس ظهرهـا ، فأدركت أنها فقدت ترف التراجع للوراء .. الترف الذى كان يمنحها فسحة لا بأس بها من الوقت ..

وخطر لها فى هذه اللحظة الرهيبة أن هذا الزمن هو زمن الرجال .. لا مكان لا مرأة فيه ..

★ ★ ★

هنا حدث شىء لا يصدق ...

شعرت (عبير) بأن قامتها تزداد طولاً ..

شعرت بقوة غير عادية تسرى فى عروقها ..

رأت معصمها - فى ضوء المشعل - يتضخم بالعضلات ثم يكسوه الشعر ..

شعرت بالعضلات تزدحم فى صدرها ..

وشعرت بالخوف ينزاح من قلبها ليحلّ الغضب محله ..

إنها تتحول .. ولكن لأى شىء ؟

ذكرها ما يحدث بـ (العملاق الذى لا يُصدَّق) أو الرجل الأخضر الذى كانت تراه فى التلفزيون فى عالم الواقع ..



رأت معصمها ـ فى ضوء المشعل ـ يتضخم بالعضلات ثم يكسوه الشعر ..

الفارق هنا هو أنها لم تتحول لعملاق ..

إنها تتحول لرجل .

لقد فاق (دى ـ جى ـ ٢) كل حدود الخيال ..

أراد أن يجعلها تواصل المغامرة ، وأن يمنحها إمكانات الاستمرار .. من ثم غير جنسها بالكامل ليحل المشكلة .. وهى الآن تشعر بأنها لم تعد كما كانت قط ..

★ ★ ★

تبدى الذهول المرعوب على وجه (ساكا) .. وارتجفت شفتاه وهو يردد فى هلع :

ـ « بحق (بتاح) !.. أنت رجل ! »

ثم ازدادت عيناه جحوظًا .. وهو يستدرك :

ـ « بل أنت (بتاح) ذاته !.. لابد أنك كذلك .. إنه هو سيد المتحولين ! »

ـ « سأجعلك تندم على أننى لست (بتاح) ! »

قالها (عبير) ـ وأرجو ألا يصحح مراجعنا اللغوى الفعل : لأن (عبير) الآن رجل ـ وغرس أظفاره فى وجه (ساكا) .. فى نفس اللحظة ركله فى أسفل بطنه ..

وهنا تذكر (عبير) أنه لا داعى لأساليب النساء هذه فى الدفاع عن النفس : خمش الوجه وركل البطن .. يمكن أن يقاتل كالرجال بتوجيه اللكمات إلى الفك

والالتحام الجسدى ومحاولة الخنق ..

وقد كان .....

من الذى قال إن (ساكا) قوى ؟ لقد تكفلت بضع لكمات حديدية إلى وجهه بتهشيم أسنانه .. وسال الدم على الأرض ..

ثم إن (عبير) وثب فوقه ليثبت جسده أرضًا .. ثمة فأر يحاول الهرب من هذه الفوضى .. أنامل (عبير) تعتصر عنق (ساكا) فى غل .. يحاول هذا التملص لكن الأنامل تزداد شراسة ..

(عبير) يهز رأس (ساكا) ويضربه فى الأرض مرارًا .. ثم ينهض (عبير) واقفًا ويثب فوق ضلوع خصمه بكل ثقله ليسمع صوت الـ (كراش) المحبب للنفس ..

قال (ساكا) شيئًا ما ، ثم مال رأسه إلى جانب .. وسال خيط دموى من أنفه وفمه .....

وقف (عبير) يلهث .. ثم خطا فوق جثة خصمه الهامدة واتجه نحو الباب .. فتحه وخرج مترنحًا ...

حين يجدون جثة (ساكا) غدًا سيجد الحارس نفسه فى مأزق حقيقى ... والأسوأ هو أن الأميرة (إرمنحات) سوف تختفى من الحريم ..

أما الآن فعلى (عبير) أن يفر من قصر (رمسيس) ليفتش عن بداية جديدة .. كرجل فى هذه المرة ..

لابد أن حياة الرجال ستكون أسهل وأهنأ ..

★ ★ ★

خرجت من القصر بعد ما ارتدت ثياب (ساكا) ، ووضعت جمته على رأسها لتبدو كالنبلاء .. وبعد ما أخذت سلاحه .. فلم يكن منظر رجل يرتدى ثوبًا أنثويًا ليمر دون ملاحظة حتى فى (فانتازيا) ..

لم يضايقها أحد ، ولم يعبأ بها أحد ..

وكذا خرجت تمشى فى شوارع (بر رعمسيس) مستمتعة برجولتها .. منذ قديم كانت تحسد الصبية فى شارعها .. فهم أقوياء وكل ألعابهم مثيرة مسلية .. وفى استطاعة أى منهم أن يعود للدار بعد العاشرة مساء دون أن يصفع .. ولا أحد يسأل أين ذهبوا ولا من أين جاءوا ..

اليوم هى صبى .. لا .. بل رجل بالغ .....

ربما كان هذا مسليًا إلى حين .. إن مغامرة واحدة كرجل لن تضر أحدًا ..

★ ★ ★

ما هو الاسم الذى يتخذه الرجل المستجد ؟ إن اسم (ناع) يبدو جيدًا وذا رنين موسيقى جميل ....

مشى (ناع) بين الطرقات يرمق الناس .. وأدرك فى رضا أنه رجل وسيم .. بالتأكيد هو كذلك .. فكم من

مرة ضبط نظرة ناعسة معجبة فى عين مكتحلة لفتاة تمر به ، فما إن تلتقى العينان حتى تخفض عينيها .. وتتظاهر بأنها لم تره قط ...

كما لاحظ (ناع) أن قامته تفوق أكثر الرجال حوله .. وأن ضعاف الأجساد منهم يحرصون على اجتنابه وعدم الاحتكاك به ..

وهكذا كان طبيعيًا أن يمرّ بحشد من الرجال ، فيبرز له رجل عملاق مفتول العضلات يحمل سوطًا ..

فيشير إليه سائلًا :

ـ « هيه .. أنت أيها القوى .. هل جئت من (منف) ؟ »

قال (ناع) فى ثبات : (الواقع أنه كاد يبتعد أولًا لأنه ـ كفتاة محترمة ـ لا يخاطب الغرباء أبدًا .. ثم تذكر أن حاجز الأنوثة قد زال من حياته) :

ـ « لا .. أنا (ناع) النبيل من (طيبة) .. »

راح الرجل يزنه بعينيه .. ثم صاح فى رجل يتدلى بالحبال أمام لوح عملاق من البازلت :

ـ « هل لديك اسم (ناع) فى فرقة (آمون) ؟ »

راح الرجل يراجع أسماء اللوح :

ـ « (ناف) .. (ناف) .. (نيحاس) .. (ناحور) .. كلا .. لا (ناع) عندى .. »

قال الرجل الأول وهو يربت على عضلات (ناع) :

ـ « لم لا تلتحق بالجيش ؟ إن (رمسيس) يناديك .. مزايا هائلة .. نسبة خمسة أثمان الغنائم لك .. مغامرة مثيرة .. تغذية جيدة .. »

هنا فهم (ناع) الأمر ..

لم يكن التحول إلى ذكر غرضه الفرار من (ساكا) فحسب .. بل كان هو الطريقة الوحيدة التى وجدها (دى ـ جى ـ ٢) ليسمح لـ (عبير) بالمشاركة فى الحرب .. إنها فتاة والفتيات لا يسمح لهن بالقتال أساسًا .. فما معنى أن تزور زمن (رمسيس) ولا ترى معركة (قادش) أهم معارك هذا الملك العظيم ؟ كأنها زارت عهد (تحتمس الثالث) ولم تر معركة (مجدو) .. أو كأنها عاشت عصر (صلاح الدين الأيوبى) ولم تحضر (حطين) .. واضح إذن أنها ستقبل .. لأن (دى ـ جى ـ ٢) يريد لها أن تقبل .....

وهكذا وجد (ناع) نفسه واحدًا من فرقة (آمون) ..

★ ★ ★

وجاء يوم الزحف .....

وتحرك الجيش من (ثارو) ..

قاصدًا أرض المعركة الختامية فى (قادش) ...

★ ★ ★

٨ ـ الزحف ..

مهيب هو الزحف ..

مثير للقشعريرة هو مشهد الحشود التى تتقدم عبر سهول (فلسطين) .. وراياتها وحرابها تحيل الأرض إلى قنفذ عملاق يتقدم نحوك ..

تتردد الأناشيد الديموطيقية التى تحدو الركب .. فترددها آلاف الحناجر .. وترتج الأرض ..

يقول قائد الكتيبة بصوت جهورى منغم :

ـ « مليكنا (رمسيس) .. »

فيردّ المشاة بنفس النغمة :

ـ « يهشم الرءوس ! »

ـ « و (موتالى) اللعين ؟ »

ـ « يموت فى (ترين) ..! »

وتستمر الأغنية المتوعدة ، وتعربد خمر الحرب فى الرءوس ويضغط الجميع على التواجد .. لقد قال (شكسبير) عبارات رائعة مناسبة للموقف فى مسرحية (هنرى الرابع) ، لكنى لا أذكرها للأسف ، لأن هناك من اقترضها ولم يعدها لى ..

ما علينا ...

تعالوا نبحث عن (ناع) صديقنا الجديد الذى كان منذ أسبوع واحد فتاة سمراء رقيقة تدعى (عبير) ..

أين هو ؟.. مستحيل أن تجد أحدًا وسط هذا الحشد .. يبدو أننا فقدنا بطلنا للأسف قبل أن نبدأ ..

ولكن ... هو ذا ! يا له من شيطان !.. إنه يقف إلى جوار (رمسيس) شخصيًا فى عربته الحربية !.. إنه هو من يمسك بلجام الحصانين المطهمين اللذين علت الزينات رأسيهما ..! .. كيف وصل (ناع) إلى هذه المرتبة ؟ سائق عربة الملك شخصيًا ؟

واضح أنه أظهر شجاعة غير عادية وبراعة لا توصف خلال التدريبات ، وبالتأكيد نال ثقة الملك سريعًا ...

عربة (رمسيس) تتقدم الحشود ، ووراءها عدد من العربات المماثلة يقف فى كل منها سائق ونبيل من النبلاء ...

الغبار يتصاعد إلى عنان السماء ..، والفلاحون الفلسطينيون البسطاء يقفون يرمقون المشهد فى انبهار .. ويهللون لمحرريهم المصريين .

الخلاصة أنها حملة توحى بالتفاؤل ..

★ ★ ★

لم يضايق (ناع) طيلة الرحلة سوى نظرات (رمسيس) المتأنية له .. من حين لآخر ..

أدرك (ناع) أن شكله يذكر (رمسيس) بـ (شيء ما) .. بالطبع يذكره بوجه ابنته (إرمنحات) التى اختفت من القصر فى ظروف غير عادية ، وفى نفس ليلة اغتيال (ساكا) ابنه القوى الشرس ..

فيما عدا ذلك كان (رمسيس) قائدًا صارمًا ، لكنه يغلف ذلك بقفاز من مخمل .. وكان يحنو على جنوده الذين يمشون على أقدامهم ويثنى عليهم .. لم يكن ذلك الطاغية الذى حسبته (عبير) .. وكانت ثقة الجنود بهذا العملاق الأسمر لا توصف .. كأنه من المستحيل أن يُهزم أو حتى يموت ، وكما ذكرنا آنفًا يقود (رمسيس) بنفسه فرقة (آمون) ..

★ ★ ★

وسار الحشد بمحاذاة شواطئ (فينيقيا) ..

مدّ (رمسيس) يده إلى تابلوه العربة الحربية ، وأخرج مكبر الصوت الخاص بالاتصال بقواده .. وعلى أنفه وضع منظارًا شمسيًا يقيه وهج الشمس ..

طبعًا كلها من فلتات (فانتازيا) التى لا تنتهى ..

لكنه بدا لـ (ناع) كأنه (روميل) فى تلك الصورة

الشهيرة من على برج دبابته فى (العلمين) .. الفارق الوحيد هو أن (روميل) خسر معركته ، بينما (رمسيس) سيكسبها حتمًا .. ما لم تكن هناك دعابة قاسية من (دى ـ جى ـ ٢) الذى لا يحب الالتزام التاريخى ..

صاح (رمسيس) فى مكبر الصوت :

ـ « قائد (بتاح) .. تعال إلى عربة القيادة فورًا .. حوّل .. »

دوّى صوت القائد المعدنى من السماعة :

ـ « أمرك يا مولاى .. حوّل .. »

ـ « انتهى .. »

ووضع السماعة وراح يتأمل الأفق فى قلق ..

بعد دقائق دنت من عربته العربة الخاصة بقائد فرقة (بتاح) وعليها أعلامها ..

ـ « هل لاحظتم أى جواسيس من عند (موتالى) ؟ »

ـ « لا يا مولاى ... »

ـ « هذا غير متوقع ويثير قلقى .. إن هذا الوغد يعرف حتمًا موعد قدومنا .. من المفروض أن نرى رعاة مريبى الشكل أو بحارة يتظاهرون بأنهم كذلك .. لكنى أرى الطريق خاليًا تمامًا أمامنا .. معنى هذا أنه يعرف ما يكفيه ولا يريد المزيد .. »

وأدار وجهه يتأمل أمواج البحر المتلاطمة .. وأردف :

ـ « أرسل بعض الجواسيس لمعرفة أين ذهب جواسيسه .. »

ـ « ليكن يا مولاى .. »

وعادت عربة القائد تجدّ السير مبتعدة ...

ونظر (رمسيس) إلى قرص الشمس المنحدر نحو الغرب ..

وقال لـ (ناع) :

ـ « إن (رع) يريد أن نتوقف هاهنا .. مُر الرجال بإعداد المخيمات .. »

★ ★ ★

وحول النيران جلس الرجال يصطلون ..

إن الجنود القادمين من (طيبة) ليسوا بالتأكيد معدين لتحمل هواء الليل البارد فى لبنان ...

كان (رمسيس) يمشى ببطء بين صفوف جنوده ، فيرونه وينهض بعضهم لينحنى له ، لكنه يشير لهم أن يبقوا كما هم .. ويواصل التفقد ...

وإذ وجد (ناع) ألا عمل له الآن .. اتجه إلى أحد التجمعات حول النار ، وجلس بين عدد من الجنود الأشداء الذين جلسوا بدورهم يثرثرون ..

ـ « من أين الجندى ؟ »

ـ « أنا (ناع) من (طيبة) .. »

لحسن الحظ كان الجنود جميعا من (تانيس) ، فلم يسأله أحد أسئلة محرجة ..

كانوا يتسلون بلعبة بسيطة هى محاولة تهشيم صخرة فى حجم قبضة اليد ما بين العضد والساعد .. وقد راح كل منهم يجرب حظه دون جدوى ..

ـ « لم لا تجرب أيها الجندى ؟ »

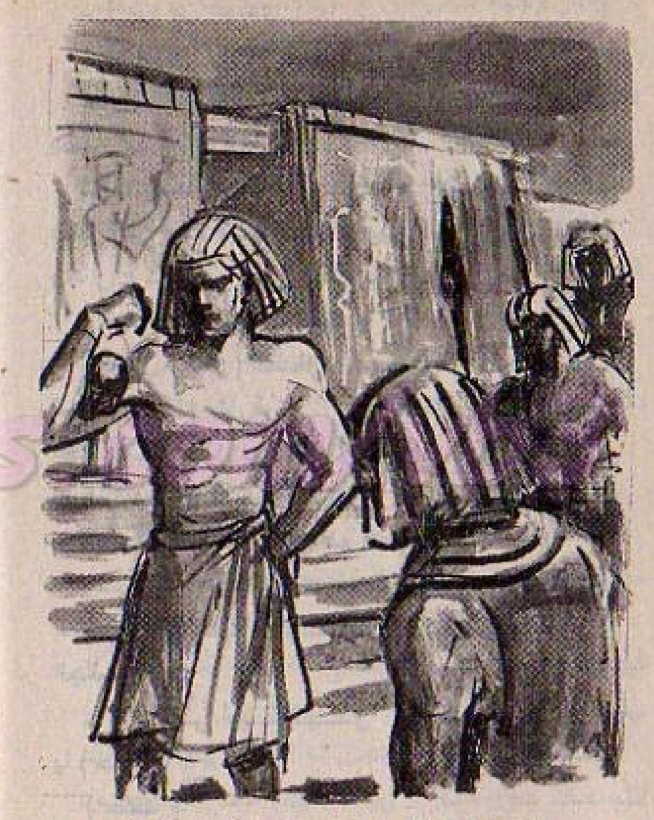
ويتناول (ناع) الصخرة .. يدسها فى ثنية ذراعه .. ثم يثنى الذراع بكل قوته .. ويضغط .. يضغط .. يكزّ على أسنانه بكل كبرياء الرجولة الوليد لديه .. إن الرجال هم أطفال كبار عاجزون تمامًا عن الاعتراف بالفشل أو عدم القدرة أو عدم العلم ...

وكراااش !.. تفتتت الصخرة تحت تأثير إرادة العضلات الكاسحة .. وتصاعدت صيحات المرح من الجالسين ..

ـ « مرحى أيها الجندى .. لم لا تجرب حظك يا (حشت) ؟ »

(حشت) ؟..

ورفع (ناع) عينيه فأحس وجيبا فى قلبه .. هو ذا



وتناول (ناع) الصخرة .. يدسها فى ثنية ذراعه ثم يثنى الذراع بكل قوته ..

(حشت ـ آمون) الجندى الذى أنقذ حياة (عبير) من الثور يومًا ما .. إنه حىّ يرزق وفى أحسن حال .. كان يرمق (ناع) فى اهتمام .. ثم جلس جواره وربّت على عضلاته القوية :

ـ « إن لك قوة (بتاح) وشجاعة (سخمت) .. دعنى أجرب مثلك .. »

بالطبع لم يتعرف (عبير) فى صورتها الجديدة ..

وتناول صخرةً مماثلة دسّها بين ساعده وعضده وراح يضغط .. يضغط .. أخيرًا استسلمت الصخرة ..

تعالت صيحات الحبور والتهانى :

ـ « أنتما أخوان .. لقد رزق كل منكما بذراع قوية .. »

جلس الرجلان متينا البنيان حول النار ، وقد جعلهما هذا الحادث صديقين عتيدين حقًا ..

قال (حشت) :

ـ « يخيل إلىّ أننى رأيتك من قبل أيها الجندى .. »

قال (ناع) فى حذر :

ـ « أنا أعمل فى قصر الملك .. هل كنت هناك من قبل ؟ »

بدا التردد لحظة على وجه (حشت) .. ثم غمغم :

- لا .. ولكن .. سيان .. أنا .. لنقل إننى جندى مصرى أولا .. لا يهمنى أمر الحاكم .. أنا أدافع عن قومى البسطاء .. ثم إن ...... قد انتهى الأمر .. »

أدرك (ناع) القصة كلها دون جهد ...

لقد فرّ (حشت) من القصر بعد الضجة التى أحدثها موت (ساكا) .. لكنه لم يذهب بعيدًا .. لماذا ؟ لأنه جندى أولا وأخيرًا .. لا يتحمل أن يترك إخوانه يحاربون ويموتون فى (قادش) بينما هو فارّ فى أحراش الجنوب .. إن هذا يفوق تحمله ....

لقد عاد ليندس بين أفراد فرقة (رع) على أمل أن أحدًا لن يلاحظ وجوده وسط هذه الضوضاء ..

فى هذه المرة تجرب (عبير) مشاعر صداقة الرجل .. بعد ما عرفت مشاعر حبه ..

لكنها لن تجرؤ أبدًا على مصارحة (حشت) بالحقيقة ، ولا حتى بما حدث مع (ساكا) فى الزنزانة ..

كل ما تستطيعه - كرجل - هو أن تكون صديقًا جم الإخلاص لـ (حشت) .. وأن تحاول حمايته إذا ما جدّت أمور تستوجب هذه الحماية ....

★ ★ ★

ويتجدد الزحف ...

الآن يعبر الجيش المصرى العظيم نهر (الأورنط) قرب (ربلة) ..

الخيول تعبر النهر والماء يتساقط من أجسادها .. خلفها الجنود .. وقد رفعوا راياتهم ورماحهم ...

لقد دنونا من (قادش) جدًا ...

هنا دوّى صوت جهاز اللاسلكى فى عربة القيادة ، فرفع (رمسيس) مكبر الصوت إلى فمه :

- « (آمون - ١) .. حوّل .. »

- « (بتاح - ١) .. قد قبض جنود الاستطلاع على رجلين من البدو .. أرى أن يقابلهما الملك .. حوّل »

- « إلىّ بهما .. انتهى .. »

بعد دقائق رأى (ناع) الجنود يقتادون رجلين ملتحيين طويلى الشعر ، وقد تغطى جسداهما بفراء الخراف وأمسك كل منهما بعصا خشبية عملاقة ...

أشار (رمسيس) للجنود كى يدنوا بالرجلين ...

ودون أن ينظر إليهما سألهما وهو يعيد مكبر الصوت إلى تابلوه العربة :

- « ماذا وراءكما ؟ »

- « سيدى .. نحن ...... »

- « إن الوقت ضيق .. أسرعا ...! »

قال أول الرجلين وهو جاث على ركبتيه ، يحاول أن يحتفظ بمسافة بينه وبين سنابك خيول عربة (رمسيس) .. الخيول الهائجة التى تبعثر الغبار فى كل صوب ..

- « يا ملك مصر العظيم .. نحن رجلان فقيران من البدو لا نملك سوى الأمل فى ...... »

- « أف ! .. » - صاح (رمسيس) فى نفاد صبر - « أنا لم أطلب منك إلقاء قصيدة شعرية .. أريد حقائق .. وفورًا .. أين (موتالى) ؟ »

- « لقد انسحب شمالاً يا مولاى .. نحو (حلب) »

- « الوغد ! »

- « ما إن سمع بقدومكم حتى بلّل سراويله .. وجمع جنوده وفرّ ... »

- « اللعين ! »

ثم إن (رمسيس) صاح فى الجند من حوله :

- « سأتبع الوغد .. أما عن هذين فألقوا بهما إلى التماسيح .. »

اعترض أحد الجنود فى كياسة :

- « مولاى .. نحن قد ابتعدنا كثيرًا عن التماسيح والنيل .. »

- « إذن ما الذى يوجد هنا ويفترس ؟ »

- « لا شىء يا مولاى .. ربما النسور ؟ »

مط شفتيه فى اشمئزاز :

- « ليس أسلوبًا محببًا .. إذن أطلقوا سراحهما ... »

ولم يصدق الرجلان أذنيهما فأطلقا ساقيهما للريح .. على حين نظر (رمسيس) إلى حرسه الخاص وهتف :

- « سنطارد (موتالى) نحو (حلب) .. »

هنا أصدر جهاز اللاسلكى أزيزًا فتناوله :

- « (آمون - ١) .. حوّل .. »

- « هنا (ست - ١) .. قبضنا على جاسوسين من البدو .. حوّل »

- « إننا قبضنا عليهما قبلكم .. وأطلقنا سراحهما .. حوّل .. »

وقبل أن يواصل إصدار أوامره أزّ الجهاز من جديد :

- « (رع - ١) .. قبضنا على جاسوسين من البدو .. حوّل .. »

صرخ فى جنون حتى إن صوته لم يحتج إلى مكبر صوت :

- « إنهما نفس الرجلين يا حمقى !.. لن أقضى بقية عمرى أتلقى بلاغات عن القبض عليهما .. »

قال أحد القواد الواقفين حوله :

- « هذه هى مزية الإعدام الفورى .. إنها تلغى الخطأ البيروقراطى الذى يؤدى إلى اعتقال الشخص مرارًا .. »

- « هذا حق ... »

ثم نظر إلى حرسه الخاص ..

ـ « والآن .. إلى (موتالى) ! »

وهكذا !

انفصل عدد محدود من العربات والجند .. تتقدمهم عربة (رمسيس) متجهين إلى الشمال للحاق بفلول جيش (موتالى) .

تذكر (ناع) هذا الموقف ..

لقد قرأ عنه فى كتب التاريخ بالتأكيد ، إن هذين البدويين جاسوسان من (موتالى) جاءا يحملان أخبارًا مضللة .. والنتيجة هى استخفاف (رمسيس) بقوة خصمه ، والاتجاه ـ دون حراسة كافية ـ إلى فم الأسد ..

تذكر (ناع) كل هذا وأزمع أن ينذر الملك ..

ـ « مولاى .. »

ـ « ششششش .. ! »

أصدر (رمسيس) هذا الصوت ليخرس سائقه ، وراح يعبئ سهمًا فى قوسه ..

عاود (ناع) الإلحاح :

ـ « مولاى .. هذان البدويان هما ...... »

ـ « حين أريد رأيك يا (ناع) سأطلبه .. أما الآن فأنت سائق عربة الفرعون العظيم .. لا أكثر ولا أقل .. »

إنه مصر إذن .

ورآه (ناع) يرفع ذراعه القوى ملوحًا بقوسه :

ـ « إلى (حلب) .. وبأقصى سرعة ! »

★ ★ ★

٩ ـ مصيدة حيثية ..

إذا لم يكن من الموت بُدّ ....

راح (ناع) يردد بيت الشعر هذا وهو يقود الجياد إلى الاتجاه الذى حدده (رمسيس) .. (ناع) يعرف ما سيحدث .. ويتوقع كارثة أكيدة ..

لكن كيف يمكن إقناع الملك العظيم متصلب الرأى بهذا ؟

بل إن (رمسيس) تمادى .. واندفع بحرسه الخاص لا أكثر تاركا وراءه فرقة (آمون) لتتبعه على مهل .. وراح ـ بصرخات حرى ـ يستحث الجياد ويثير حماسها للمزيد ..

★ ★ ★

إنها الظهيرة ..

الشمس عمودية تتوسط السماء ، وتسكب النيران على رءوس المصريين .. لقد وصلنا أخيرًا إلى (قادش)..

فى صمت يمشى الجنود فى شوارع المدينة الخاوية من المارة .. لا صوت سوى قعقعة السلاح ولهاث الأنفاس وحوافر الخيول .. ربما صهل بعضها أحيانًا ..

قال (رمسيس) متأملاً المشهد :
ـ « تبدو لى مدينة موتى .. »
قال (ناع) بصوت خافت دعا اللّه ألا يسمعه (رمسيس) :
ـ « تبدو لى مصيدة .. »
بالطبع لم يكن (ناع) يذكر ـ ولم يكن (رمسيس) يعرف ـ أن (موتالى) ينتظر بجيشه كاملاً شمالى غرب المدينة .. وأن قواته الآن توشك على إتمام حصارها للقوة المصرية الصغيرة ...
هنا صاح صائح أن فرقة (آمون) قد وصلت ..

★ ★ ★

راح أفراد فرقة (آمون) ينصبون خيامهم ، ويضعون الاستحكامات العسكرية ..
شعر (ناع) بشىء من الاطمئنان .. لكنه ظل شعوراً ناقصاً .. المشكلة أن المرء لا يذكر التفاصيل الحربية أبداً حين يقرؤها فى كتب التاريخ .. وما أشد حاجة (ناع) الآن إلى كتاب تاريخ يتذكر منه ما حدث حقاً ....
كان الجنود على وشك تناول طعام الغداء المكون من الخبز والجعة والجبن المملح والخسّ ؛ حين أزّ جهاز اللاسلكى فى عربة القيادة ..

اتجه (رمسيس) ـ بفم ملىء بالبصل والجبن ـ ليتناول مكبر الصوت ..
ـ « (آمون ـ ١) .. حوّل .. »
ـ « هنا استطلاع الفرقة .. الملازم (حور ـ رع) يا مولاى .. لقد قبضنا على اثنين من البدو فى ...... »
ـ « عليكم اللعنة ! »
صاح (رمسيس) فى هستيريا وتطاير الطعام من فيه :
ـ « أيها الحمقى !.. هل ستظلون تقبضون على هذين البدويين للأبد ؟ يا أغبياء ! حوّل .. »
دوى صوت الملازم من مكبر الصوت :
ـ « إنهما اثنان آخران يا مولاى .. ولديهما أخبار مثيرة للاهتمام .. هل أرسلهما لكم ؟ حوّل .. »
ـ « ليكن .. حوّل .. »
بعد دقائق جاء البدويان مقيدين بالحبال الغلاظ .. فما إن رآهما (رمسيس) حتى صاح :
ـ « أنتما من جديد ؟ إننى محاط بالمخابيل ..!.. معذرة على قدومكما فى وقت الغداء ، فليس لدى ما أقدمه لكما سوى ساعات عصيبة ..! »
قالها وراح يلوك عوداً من الخسّ ..

قال أحد الرجلين وهو يجثو على الأرض :

ـ « سامحنا أيها الملك العظيم .. لقد خدعناك وتلاعبنا بك كما يلهو الطفل بدميته .. »

قال الآخر فى خجل :

ـ « بل جعلنا منك أحمق ! »

ـ « كفى !! »

صاح (رمسيس) فى جنون وقد أوشكت أوردته على الانفجار .. وتقدم حتى وقف أمام الرجلين الساجدين .. وصاح بصوت زلزل جنوب غرب آسيا :

ـ « عم تتحدثان ؟ »

ـ « (موتالى) لم يفر يا مولاى .. إنه مختبئ فى شمال المدينة ينتظر إكمال حصاره لكم .. إن الحرب خدعة ، وقد كان هذا تاكتيكا موفقا منه .. نوعا من أساليب الخداع الاستراتيجى قائم على ...... »

ـ « إلى التماسيح ! »

فقال أحد الضباط فى كياسة إنه لا توجد تماسيح .. صاح (رمسيس) بأنه يريد أن يرسلوا له ستة تماسيح جائعة من النيل فى أقرب فرصة .. وأردف :

ـ « إن حكم البلاد دون تماسيح لأمر غير آدمى .. »

وبعد ما أخذوا البدويين بعيدا .. التفت إلى ضباطه وقد بدا أكثر ليونة وقبولا للرأى الآخر ..

وضع يديه فى خاصرته .. وتساءل وهو يسير مطرقا :

ـ « والآن .. ماذا ترون ؟ »

قال أحد الضباط :

ـ يجب الإسراع بإحضار فيلقى (بتاح) و (رع) .. إن فيلق (ست) بعيد جدا .. ولن يصل فى الوقت المناسب أبدا .. »

ـ « هذا حق .. نفذ فورا .. »

وركل الغبار بقدمه .. وغمغم فى حنق :

ـ « لقد كنت ساذجا .. ساذجا ... »

همس الضابط فى أذنه :

ـ « سيدى .. إن المدير يذكرك بأن هذه العبارة خاصة بالدكتور (رفعت إسماعيل) .. فلا داعى لاستعمالها حتى لا يتهمنا القراء بالإفلاس الفكرى .. »

ـ « حسن .. لقد كنت أحمق .. هل هذا مرض ؟ »

لم يستطع (ناع) أن يبدى تشفيا .. أو يعلن فى مرح أنه صاحب فكرة الكمين منذ البداية ..

إن الوقت غير مناسب للحديث عن عبقريته ..

واحترم صمت مليكه ، فمشى جواره مطرق الرأس ..

★ ★ ★

هنا دوت الصرخات ..

نظر (رمسيس) إلى مصدرها ..

وللوهلة الأولى لم يفهم أحد ماحدث ..

كان هناك جلود من كل صوب يركضون .. بعضهم امتلأ جسده بالجروح .. وبعضهم فقد ذراعا أو ذراعين .. كلهم فى أسوأ حال .. يركضون كدجاج دخل ابن عرس إلى بيته .. أو كنمل فوجئ بقدم طفل بين أسرابه ..

كان هؤلاء هم أفراد فرقة (رع) ..

لقد قابلهم (موتالى) حينما لم يكونوا مستعدين لقدومه ، وحاصرهم ودمّر صفوفهم بعرباته وخيوله بينما كان أكثرهم من المشاة ....

كانت هزيمة نكراء .. وبعبارة أوقع : لم تعد هناك فرقة اسمها (رع) ..

وصاح صائح منهم برغم السهم الذى انغرس فى عنقه :

ـ « إنهم .. ورا .. وراءنا .. ! »

ثم سقط فوق الغبار ميتًا ...

★ ★ ★

رأى (ناع) عربات الحيثيين الحربية تدنو منهم مبعثرة الغبار فى كل صوب ، وركابها ـ من الرعاة الآسيويين ـ يلوحون بهراواتهم .. وامتلأ الجو بالسهام ..

كان الأوغاد يحاولون إقفال الدائرة حول فرقة (آمون) ، وبالتأكيد سينجحون فى هذا ...

ولكن .. من هو هذا الجندى الذى امتلأ جسده القوى بثقوب الرماح والسهام .. وبرغم هذا لم يزل يلوح برمحه يمينا ويسارًا كأسد هصور ؟

إن أمر هذا الجندى لن يطول ..

ثمة ثلاث عربات حيثية تحيط به ..

وعرف (ناع) على الفور أن هذا هو (حشت) الذى يخوض آخر معاركه الباسلة .. لقد كان من جنود فيلق (رع) ..

★ ★ ★

كان الثور يبعثر الغبار فى كل اتجاه حين ....

★ ★ ★

اندفع (ناع) كالمجنون .. لا يدرى كيف وثب إلى العربة الحربية الأولى ، فلكم سائقها لكمة أطاحت به إلى الأرض .. واندفع بالعربة ليرتطم بالعربة الثانية فيقلبها ..

يا للارتطام !.. صوت صراخ .. رائحة الغبار ممزوجًا بالدماء .. رائحة الموت ذاتها وصوته ....

وينطلق الرمح من ذراع (ناع) لينغرس فى صدر سائق العربة الثالثة ....

كانت العربة مستمرة فى الركض برغم هلاك أحد حصانيها .. حين وثب (ناع) منها ..

وبين سحب الغبار هرع إلى (حشت) وجذبه إليه .. أحقًا أنت ؟ لا تخف .. إنى معك .. شكرًا لك أيها الصديق .. فلولاك ..

عبارات كاملة تم قولها فى نظرة عابرة تبادلها الصديقان .. ثم راح (ناع) يجرجر (حشت) مبتعدًا عن الجموع .. حتى وجد صخرة عملاقة أراح رأسه إليها .. وابتسم له مشجعًا ..

ـ « ستنتظرنى هنا .. ولكن عدنى ألا تموت .. هه ؟ »

قال (حشت) من بين شفتين بدأت قشور اللعاب الجافة تلصقهما ببعضهما .. والعرق البارد يغمره :

ـ « لـ .. لماذا .. أ .. أموت ؟ »

ـ « كل الجنود يموتون حين يريحون رأسهم على صخرة .. هذه هى تقاليد السينما .. »

ـ « لـ .. لا .. أفهم .. لـ .. لكنى .. سأ .. أظل حيًا .. ! »

★ ★ ★

مطمئنًا إلى أنه بعيد عن السهام وسنابك الخيل ، فارقه (ناع) باحثًا عن (رمسيس) ..

إن الهزيمة دانية .. لكن لنمت بشرف ..

الجبان يموت ألف مرة .. أما الشجاع فمرة واحدة ..

و (ناع) كان شجاعًا .. على الأقل فى هذه اللحظة ..

ولكن أين (رمسيس) ؟

ها هو ذا ؟ إنه يعتلى عربته الحربية ويعبئ قوسه

بالسهم .. يفرد قامته فى كبرياء ، ثم يصرخ مناديا (ناع) كأنه أسد يزأر :

ـ « (ناع) .. أين كنت ؟ »

ـ « كنت أ ...... »

ـ « هيا .. فلتقد العربة حالا .. »

ـ « لكن .... »

ـ « هيا ! .. توجد ثغرة فى صفوف هؤلاء الآسيويين .. ولسوف نجتازها .. »

وما إن أمسك (ناع) باللجام .. حتى أطلق (رمسيس) صرخة عاتية ارتجت لها (قادش) بأسرها ومفاصل الجنود ..

لقد ثار الأسد .. وعلى من أثاره أن يدفع الثمن ..

★ ★ ★

كأنه حلم ......!

وسط السهام التى تنطلق حوله فلا يعبأ بها كأنها أسراب من ذباب ؛ تندفع عربة (رمسيس) بين صفوف الأعداء ..

صرخاته تدوى .. وسهامه تطير فى كل صوب فلا يكف واحد منها إلا فى صدر واحد من الحيثيين ..

ـ « إلىَّ يا جنود مصر .. إن أمكم (إيزيس) تناديكم إليها ! »

فإذا ما فرغ من سهامه ، أخرج رمحه وشرع يضرب به يمينا ويسارًا .. بمقدمته وبقناته ..

الحيثيون يصرخون ..

العربات الحيثية تنقلب فى النهر .. النهر الذى صار من دم كله ..

لا أحد يستطيع إيقاف هذا الشلال الهادر ..

هذا السيل العرم .. لا أحد ..

طعنة يمينًا .. ضربة يسارًا .. سهم للخلف .. سهم للأمام .. ثم ركلة فى وجه هذا ..

الخيول تمزق من يسقط تحت سنابكها ..

العربة الثلاثون للأعداء تهوى فى مياه النهر ...

★ ★ ★

عرف (ناع) عندئذ أنه لم يعرف (رمسيس) بعد ..

هذا الرجل كان ملكًا .. وملكًا وطنيًا ، أحب وطنه وشعبه وعرف كيف يكون ليثًا حين تحتاج الأمور ليثًا ..

هذا التمثال الواقف اليوم فى تعاسة وسط الميدان أمام محطة القطار .. تلك المومياء البائسة التى لم يكفوا عن علاجها بالإشعاع منذ قرون حتى لا تتحلل ..

كانت هى هذا الرجل .. هذا الإعصار الحىّ ...

ـ « إلىّ يا أبناء مصر .. ألا ترون أنهم يندحرون ؟ إن (آمون) فخور بكم .. »

مزيد من الجثث تتبعثر هنا وهناك ...

وعربة (رمسيس) ـ وحولها عربات قواده ـ تواصل دورتها فى ميدان المعركة ..

الغبار .. الصراخ .. صهيل الخيل .. الدماء ..

سهام عديدة وجدت مكانها إلى جسد (رمسيس) لكنه لم يبال بها كأنما هى لدغات بعوض ..

رمحه ينغرس فى صدر عملاق آسيوى .. وبيد من حديد يرفعه (رمسيس) ليطوح به فى الهواء ..

صوت جسد ثقيل يهوى فى النهر ....

★ ★ ★

كم دامت الملحمة ؟..

ثلاث ساعات لا أكثر ..

لكنها بدت لـ (ناع) كأنها دهر ...

وهنا سمعوا صياحًا .. ونظر (رمسيس) إلى الوراء ليرى ما يحدث ، فوجد أعلام فرقة (بتاح) قادمة من بعيد ..!

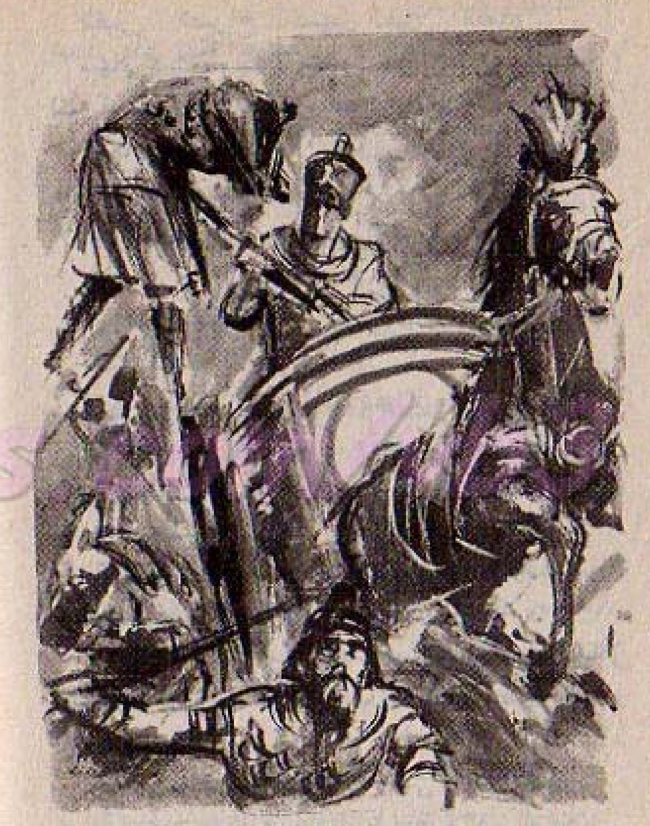
لقد وصلت النجدة .. ولو لم تصل لكان (رمسيس) قادرًا على قتال الأعداء إلى يوم يبعثون ..

لكن فرقة (بتاح) وصلت أخيرًا .. بجنودها شاكى السلاح الذين لم تنهكهم الحرب بعد .. جنود كاملو العدة والقوة ..

وبوصولها تكون هزيمة (موتالى) أمرًا منتهيًا ...

وفى عيون الأعداء رأى (ناع) نظرة الفأر المحاصر ..

★ ★ ★



رمحه ينغرس فى صدر عملاق آسيوى .. وبيد من حديد يرفعه (رمسيس) ليطوح به فى الهواء ..

١٠ ـ سلام الأقوياء ..

على ضوء الغروب الأرجوانى والشمس تلفظ آخر أنفاسها ؛ كانت هناك أشباح زرقاء تصطرع وتتبادل الطعنات .. وجند (موتالى) قد وقعوا بين شقى الرحى .. ما بين فيلق (آمون) وفيلق (بتاح) ..

رجال (طيبة) ورجال (منف) ......

وأخيرًا صاح صائح : الانسحاب .. الانسحاب ..

وفر الحيثيون الباقون يلملمون جراحهم تاركين النهر طافحًا بجثث قتلاهم ..

★ ★ ★

كان ضوء القمر الحزين الشاحب يغمر المكان ..

ومشى (رمسيس) فى تؤدة جوار (ناع) .. الجراح تملأ كل شبر من جسده .. والدماء تلطخ وجهه .. ثمة جفن تمزق فصار لا ينفتح وهوى كبوابة ثقيلة على عينه اليسرى ...

إن نصر الشجعان لم يكن غير ذى ثمن ...

الأرض مزاج غريب من الوحل والدم .. وجثث الرجال الذين تعجز الآن عن تبين جنسيتهم ..

كان (رمسيس) يلهث ..

لكنه لم يكن يملك ترف الأنين .. أو الحق فى الإغماء .. إنه ملك .. ولأنه ملك فهو آخر من يستريح ..

قال لـ (ناع) وهو يتأمل المشهد :

- « قمنا بعمل جميل .. أليس كذلك ؟ »

ابتلع (ناع) ريقه وغمغم :

- « نـ .. نعم .. »

- « ولسوف نلحق بهم إلى عقر دارهم .. »

قال (ناع) فى كياسة :

- « ربما كان الأوفق أن نعود لرأب صفوفنا فى مصر .. إن حالة جنودنا لا تسمح بمزيد من عراك ... خاصة ونحن على أرضهم وقرب ديارهم .. »

نظر له (رمسيس) هنيهة مفكرًا .. ثم غمغم :

- « هل تعرف ؟ لست أحمق يا (ناع) إلى الحد الذى تبدو به .... »

ثم صاح مناديًا قواده :

- « أريد حصر القتلى .. ونقل الجرحى حالاً .. »

ورفع ذراعه الجريح إلى أعلى :

- « إننا عائدون إلى مصر .... »

★ ★ ★

فيما بعد سيلحق (رمسيس) بالحيثيين ليهزمهم فى (نرين) وحصن (داجود) .. ، ولسوف تدوم الحرب بينه وبينهم خمسة عشر عامًا حتى يموت (موتالى) اللعين ...

عندئذ سيبدى خلفه (خاتوسيل) استعدادًا للسلام ، ولسوف يقبل عمل معاهدة صلح يتم تدوينها باللغة المسمارية على لوح من فضة .. ربما هى أول معاهدة صلح فى التاريخ ....

ولسوف يترنم الشعراء بيوم (قادش) ، وتملأ صور وتماثيل (رمسيس) البلاد ..

وفى سن الستين تموت الملكة (نفرتارى) رفيقة درب (رمسيس) ، ولسوف يرسل ملك الحيثيين ابنته إلى (رمسيس) ليتزوجها ..

ستمنح الفتاة ـ العروس الشابة ـ اسم (ماعت نفرورع) .. وتصير زوجة طيبة للملك الشيخ .. الذى سيعيش حتى سن التسعين ..

وحين يموت سيدفن فى طيبة جوار ملوك مصر الآخرين فى وادى الملوك ..

ويظل اسم (رمسيس الثانى) خالدًا ، يحكى قصة بطل مصرى منح وطنه الخلود بدوره ....

كل هذا سيحدث فيما بعد ..

أما الآن فقد انتهت مغامرة (ناع) أو (عبير) بمجرد العودة من (قادش) ..

★ ★ ★

وبينما (ناع) يتأهب ليركب عربة (رمسيس) الحربية .. رأى من يتقدم منه ببطء في الظلام ..

كانت الظلال تنسكب في كل صوب ، وضوء القمر الشاحب يقول ما تعجز عنه الكلمات .. لهذا لم يدر من هو القادم .. ثم تبين أنه يرتدى ثيابا عصرية .. وأنه يحمل فى يده اليسرى سلسلة مفاتيح يطوح بها يمينا ويسارا :

ـ « تحية أيها الجندى .. هل كانت مغامرة شائقة ؟ أرى من الدماء على وجهك أنك رأيت الكثير .. »

تنهد (ناع) ومسح وجهه بكفه :

ـ « هل حان الوقت أيها (المرشد) ؟ »

ـ « طبعًا .. لم يبق شىء هنا .. »

ـ « ولكن .... »

وهنا أحس (ناع) أنه يتضاءل .. ينكمش .. جسده يصير لينًا والشعر يستطيل على كتفيه .....

ونظر لقدميه فأدرك أنه يرتدى حذاءً أنثويًا .. وثياب (عبير) حين بدأت القصة ..

لقد عادت (عبير) إلى الوجود ....

تنهدت (عبير) فى حسرة ، فسألها (المرشد) :

ـ « علام تتنهدين ؟ »

ـ « على الرجولة .. لقد كانت متعة حقيقية .. »

قال فى تهكم .. وهو يسير معها بين الجثث الملقاة على الأرض محاشيًا أن يتلوث سرواله بالدم :

ـ « رجولة الأقوياء .. أنت عشت تجربة الرجل القوى الذى يحقق بعضلاته ما يريد .. هناك رجال أكثر ضعفًا منك وأنت فتاة .. هؤلاء لا يستمتعون برجولتهم إلى هذا الحدّ حين يكون عليهم تحمل مسئوليات رجولتهم هذه ... »

ـ « لقد أعجبت بـ (ناع) .. يا له من رجل ! »

ثم هتفت فى جزع وقد تذكرت :

ـ « الجندى .. (حشت) !.. نسيت أمره تمامًا .. يجب أن أراه قبل الرحيل .... »

فى سأم غمغم وهو يتأمل سهمًا انغرس فى شجرة :

ـ « ليكن .. ولكن بسرعة .. »

هرعت (عبير) تركض إلى أن وجدت الصخرة إياها ..

دارت حولها فرأت (حشت) راقدًا بينما بعض الرجال يضمدون جراحه .. فما إن رآها حتى هتف :

ـ « الأميرة (إرمنحات) هنا ؟ »

ثم تأوه .. وعاد إلى استرخاء رقدته .. فقالت :

ـ « للمرة الثانية أراك فى هذا الموقف .. »

ـ « لقد صارت عادة .. »

ثم همس وهو يتكئ على كتف جندى :

ـ « أعترف لك أننى أحببتك أكثر من كل شىء .. لكنى أريد معرفة مصير جندى من فيلق (آمون) .. اسمه (ناع) .. إنه يشبهك فى كل شىء .. »

ـ « هو بخير يا (حشت) .. أنا واثقة أنه بخير .. »

قالتها وابتسمت .. لم ير ابتسامتها بسبب الظلام .. لكنه أحس بها .. وابتسم بدوره وإن لم يفهم كيف عرفت الأميرة بوجود هذا الـ (ناع) ....

وهنا همس لها (المرشد) :

ـ « هيا بنا الآن ..... »

ـ « هيا بنا يا (مرشد) ... »

★ ★ ★

خـاتمـة

استغرقت الرحلة ساعتين ..

وحين عادت (عبير) إلى دنيا الواقع ، وشعرت بالأقطاب على رأسها ؛ راحت تفتش عن (شريف) ..

لم يكن بالغرفة .. كان فى الصالـة يرشف قدحًا من الشاى المعطر ويطالع الجريدة بانتظار استيقاظها ..

نادته ليفك كل هذه الأسلاك ..

فجاء يحمل قدح الشاى ، وراح يحررها دون كلام .. كان متضايقًا منها حقًا ولم يبد أية حماسة لسؤالها عن موضوع رحلتها ...

منذ فترة طويلة ـ تذكرت (عبير) ـ كف عن تسجيل أحلامها على شرائط الفيديو ..

على أنه توقف لحظة عن العمل .. وتأمل طرف كمها فى اهتمام .. ثم تساءل :

ـ « لا أذكر أنك جرحت ! »

ـ « عم تتحدث ؟ »

أشار إلى طرف الكم .. إلى بقعة من الدم هناك .. بقعة حمراء طرية طازجة .. وسألها فى مزيد من حذر :

- « حقاً لم يجرح معصمك ؟ »

- « لا .. حتماً لا .. لماذا ؟ »

قال فى قلق وهو يثبت عينيه في عينيها :

- « إن هذا لغريب .. غريب حقاً ! »

★ ★ ★

دعونا من هذا الآن .. ولنتذكر أنه فى الحلم القادم ستأخذنا (عبير) إلى عالم لا ينسى .. عالم الأساطير الإغريقية حيث (السيكلوب) و (الكراكون) و(هرقل) و (برسيوس) و (أطلس) وغيرهم كثير ..

إن عالم الأساطير الإغريقية لهو أمتع بلدان (فانتازيا) وأكثرها تشويقاً .

★ ★ ★

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع : ٥٢٦٦

الترقيم الدولي : ٥ ـ ٢٦٥ ـ ٢٦٠ ـ ٩٧٧

المطبعة العربية الحديثة

٨ و ١٠ شارع ٤٧ المنطقة الصناعية بالعباسية

القاهرة - ☎ ٨٢٣٧٩٢ ـ ٨٤٥٥٥٤